الدراسات

لنُقلّ «حماسة»

إبراهيم السامرائي
كلية الآداب - جامعة صنعاء

إني لأصرف هذه الحماسة إلى ما نؤلف من كتب ومباحث ، وما نحققه من كتب صنفها الأقدمون ، ذلك أني لألمس جمهرة هؤلاء الدارسين تغلبهم حماسة عارمة فإذا هم يتجاوزون فيما هم فيه حدود العلم . إنك تجدهم عبيد هذه الحماسة ، فالشاعر الذي يصنّفون فيه هو الشاعر المفلق المبدع ، والكاتب هو البليغ المفكر الفيلسوف ، والمحدّث هو المتقدّم في علوم الحديث ، وقل مثل هذا في سائر الذين يقمشون فيهم من كتب ورسائل .

إن هذه الحماسة تذكّرني بغلوّ المتأخرين في العصور المتأخرة في الألقاب التي اختصّوا بها أو ما خصوا بها أصحابهم من المعاصرين . ولعل شيئاً من هذا مازلنا نراه في بلادنا العربية والإسلامية ، فأنت تجد بينهم من رزق شيئاً من مقدرة علمية أو فنية تطمح به حماسته فيحسب أنه مستحق لنيل المرتبة العليا التي يثاب صاحبها بالسني من «الجوائز» . وأنت تصادف من هؤلاء من يقال فيه «البحر» أو «الحجّة» أو «الآية» التي تنسب إلى العليّ الأعلى ، وإذا هم يشمخون بمظاهرهم فيما يرتدون ويتصرفون .

ولعل من هؤلاء الشداة الذين يحرّرون رسائلهم العلمية فيزهون بها زهواً كأنما الذي أودعوه فيها فتح من الفتح ماله اللقب الذي أحرزوه .

أفلي أن أتلو قوله - جل وعلا - : (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) .

أعود بعد هذه المقدمة لأقف وقفات على كتاب «المحلّى» (١) الذي ارتضى له محققه أن يشفعه بعبارة «وجوه النصب» .

ولي أن أقف وقفة قصيرة فأقف على (تحقيق عنوان الكتاب) في مقدمة المحقق (٢) حيث قال : (عنوان نسخة الكتاب في أيا صوفيا هو (كتاب الجمل في النحو)، وعنوان نسخة قوله هو (كتاب وجوه النصب). وبعد ذلك اضطرب العنوان بين (الجمل) و(المحلّى) فقد تكون إحدى الكلمتين تحريفاً عن الأخرى»

أقول : ليس لكلمة " المحلّى " ظهور في أيٍّ من الأصلين المخطوطين ، ولذلك ليس للمحقق أن يقول : "وبعد ذلك اضطرب العنوان بين "الجمل" و " المحلّى " .

إن «المحلّى» لم يرد في أي من المصادر التي عنيت بطبقات اللغويين إلا أنه ورد في «معجم الأدباء» (٣) لياقوت الذي أفاد أنه ذكر في «طبقات ابن مسعر» ، ونقل السيوطي في «بغية الوعاة» (٤) هذا الخبر ، ولعله أفاده مما وجده لدى ياقوت .

وكأن المحقق ارتضى «المحلّى» وحسب أن «الجمل» في عنوان الكتاب في نسخة أياصوفيا تصحيف لكلمة «المحلّى» التي أطمأنّ إليها ، وكان له أن يرى أن «المحلّى» الذي ورد في «معجم الأدباء» هو المصحف عن «الجمل» وهو الكتاب الذي وصل إلينا منسوباً إلى الخليل كما ذكر ابن مسعر في طبقاته ، كما حدّث ياقوت .

ثم ان ابن شقير لم يذكر اسم «المحلّى» في فاتحة هذا الكتاب ، كما أنه لم يشر إلى شيء من سبب هذه التسمية . وقد اعتدنا أن نرى المؤلفين في القرن الثالث ينوّهون بما صنعوا ويشيرون إلى ما حداهم في تسمية تصانيفهم . وإلى مثل هذا ذهب عيسى بن عمر المتوفّى سنة ١٤٩هـ فسمّى كتابين له «الإكمال»

و«الجامع» اللذين قرّظهما الخليل بن أحمد فقال :

ذهب النحو جميعاً كله

غير ما أحدث عيسى بن عمرْ

ذاك «إكمال» وهذا «جامع»

فهما للناس شمس وقَمَرْ (٥)

وكان الخليل بن أحمد قد أخذ عن عيسى بن عمر .

وأعود إلى ما كتبه المحقق في «تحقيق عنوان الكتاب» الذي جاء فيه :

«ونقل بروكلمان عن ابن المحسن في كتابه (الذريعة) أنه كتاب (النقط والشكل)، ولكن بروكلمان ارتضى للكتاب عنوان (جملة آلات الإعراب) » .

أقول : إن صاحب «الذريعة» (٦) هو آغابزرگ الطهراني محمد محسن ، وليس ابن المحسن . وكانّ «النقط والشكل» قد رآه آغابزرگ في أحد أصول الكتاب مخطوطاً بعنوان «النقط والشكل» . وأن بروكلمان لم يرتض من نفسه كما أخبر المحقق الدكتور فائز فارس عنوان «جملة آلات الإعراب» ، ذلك أن هذا العالم الألماني من أهل الإتقان والضبط ، وهو من غير شك وجد هذا العنوان مشاراً إليه في مظنّة من المظانّ .

أقول : وكأن محقق الكتاب الدكتور فائز فارس قد استحلى هذا «المحلى» ، وأعجبه به فبادر عجلاً دون تروّ كثير إلى التزامه وطرح «الجمل» الذي يتفق ومادة «الكتاب» .

قال المحقق : «هذا الاختلاف في نسخة الكتاب يتردّد بين عموم وخصوص ، فقد صنّفت كتب شتى في النحو وغيره تحت اسم «الجمل» ، هذه الكلمة التي تشير إلى أن المصنف يتناول جوانب موضوعه ، وقد مالت أكثر هذه الكتب إلى الإيجاز» (٧) .

أقول : قول المحقق هذا يخرج عن الصدد ، وهو عام يتصل بالكتاب ولا يتصل به ، وهذا بسبب السرعة والحماسة اللتين حدتا المحقق إلى ذهابه إلى عنوانه الذي جاء مصحفاً في «بغية الوعاة» عن ياقوت عن ابن مسعر في «طبقاته» .

ونصل إلى «وجوه النصب» وهذا تكملة العنوان التي أثبتها المحقق بعد «المحلى» فقال :

«وأما عنوان مثل "وجوه النصب" فإنه من إطلاق الخاص على العام حيث يسمّى الكتاب باسم الباب الأول منه ، وهذا متّبع في تسمية السور بالكلمات الأولى منها» .

أقول : ليس عنوان «وجوه النصب» في باب إطلاق الخاص على العام ، لأنه لو كان كذلك لسُمّي به «الكتاب» واستغنى عن «المحلى» و «الجمل» .

وليس للمحقق أن يجعل هذا مثل «تسمية السور بالكلمات الأولى» ، وهو يقصد السور التي سميت بالأحرف مثل سورة «ص» و «طه» و «يس» و «ق» ، وبالكلمة الأولى مثل «الرحمن» .

إن الأحرف الأولى ومثلها «الكلمة» في هذه السور لم يُسمَّ بها لوقوعها أول السور ، ولكن لغرض آخر عرف في هذه السور ، وقد أكثر المفسرون في الكلام على هذا .

كان على المحقق أن يستشهد على تسمية العام بالخاص بـ «كتاب العين» للخليل بن أحمد ، وهو أول باب في هذا الكتاب ، وبـ «كتاب الحماسة» لأبي تمام ، وشعر الحماسة أول أبواب «الكتاب» .

«وإذا كان عنوان " الجمل " الذي ورد نسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي مضللاً فإن رفضه أولى ...» .

أقول : كان على المحقق أن ينفي هذا بما ورد من استشهاد ابن شقير بقول ابن دريد (٨) في أحد شواهده .

أقول : كيف جمع المحقق بين «المحلى» الذي ارتضاه وسارع إلى أخذه وبين «وجوه النصب» ؟ ! ولو كان هذا العنوان الأخير بسبب كونه أول أبواب «الكتاب» لا ستُغني به عن «المحلى» ، ولكنه جمع بين الاثنين فأفسد على نفسه علّة التسمية .

قال المحقق في آخر كلامه على هذا :

«وإني ارتضي " المحلّى – وجوه النصب" عنواناً للكتاب رافضاً ما قد يسبّب عنوان " الجمل " من ربط غير صادق بين الكتاب والخليل ، مؤمناً أن تحريفاً ما قد يحدث بين الجمل والمحلّى ، مورداً اسماً ذاع للكتاب هو " وجوه النصب "فيه خاصّ مقدّم في البداية أطلق على موضوع عام» .

أقول : كل هذا الطيّ واللّف من لدن المحقق كان من أجل أن يفرض العنوان الذي ارتضاه وهو «المحلّى» مع أن لفظ «الجمل» قد ورد في الأصل المخطوط ، كما جاء في فهارس «معهد المخطوطات» التابع لجامعة الدول العربية .

أترك هذا وأعود إلى صنعة المحقق في «كلمته» وفي «الباب الأول» .

قال المحقق في كلمته (٩) :

«كانت نسبة الكتاب إلى الخليل بن أحمد موضع شكّ في البداية ، وقد تبدّى لي الشك مع عبارة بروكلمان الداعية إلى ذلك في كتابه (تاريخ الأدب العربي) .

أقول : ليست كلمة بروكلمان هذه هي التي أثارت الشك ، ذلك أن ابن شقير في أول هذا الكتاب قد أشار إلى أنه صنف «مختصر النحو» (١٠) قبل هذا الكتاب . وهذا دليل قاطع على نسبته إلى ابن شقير ، وليس إلى الخليل .

وسأمضي في هذه الوقفات ، وهي :

١ - قال المحقق في «كلمته» : «وأمل أن أخدم النص بالتصويب والتدقيق بعيداً عن التصحيف والتحريف» .

أقول : أراد بقوله هذا أن يصحّح نص الكتاب ، ويقوّم ما عرض له من التصحيف والتحريف ، واستعمل «التصويب» للتصحيح .

وحقيقة «التصويب» هي الحكم بالصواب ، تقول مثلاً : قلتُ كذا فصوّ بني أصحابي ، وليس التصويب «تصحيحاً» ، ولكنه وهم شاع لدى المعاصرين .

٢ - وجاء في الباب الأول : حياة [ابن شقير] العامة في الصفحة (١٥) .

أقول إن استعمال «حياة» عربية معاصرة جديدة أخذها المعاصرون من كلمتين أعجميتين هما : «Vie» الفرنسية ، و «Life» الإنجليزية ، والذي كان لنا في هذا الخصوص كلمة «سيرة» ، فقد عرفنا «سيرة الرسول الكريم» صلى الله عليه وسلم ، كما عرفنا «المغازي والسير» و «سير أعلام النبلاء» وغير هذا .

أقول : لو كان المحقق من غير أهل العربية لكان لي أن أغضّ الطرف عن هذا المولّد الجديد ، ولكن كيف يكون هذا ، وهو مدرّس للعربية القديمة اضطلع بتحقيق كتاب في النحو من المصادر القديمة ؟ .

٣ - وجاء في الصفحة (١٧) في الكلام على مصنفات ابن شقير :

«وقد ذكر كتب [ابن شقير] الثلاثة الأولى ابن الأنباري في «نزهة الألباء» . والكتب الثلاثة هي : المقصور والممدود ، والمذكر والمؤنث ، والمختصر في النحو .

أقول : لي في هذه العبارة مسألتان : الأولى وصف المحقق للكتب الثلاثة بـ«الأولى» ولا يمكن هذا الوصف لأن كلاً من الكتب الثلاثة لا يمكن أن يكون «أوّل» ، ولكن هذا وجه في القول في العربية المعاصرة على سبيل الإيجاز .

والمسألة الثانية : أن صاحب «نزهة الألبّاء» هو الأنباري أبو البركات عبدالرحمن بن محمد وليس «ابن الأنباري» .

ثم أتي إلى الباب الثاني وقد جاء فيه :

١ - أن المحلّى كتاب لطيف في العربية .. ..

أقول : لعل المحقق أصاب في وصف «المحلّى» بـ«كتاب لطيف» على جهة الإخبار . إن «لطيف» في هذه العبارة يعني الصغير الموجز غير المبسوط ، فإن قصد المحقق هذا فقد أصاب القول .

ثم قال المحقق في هذه الصفحة (٢١) :

٢ - «يتناول مصنفه فيه مادة التركيب اللغوي ، ولا يعنى بأصوات العربية أو بالصرف الذي يعالج بناء اللفظ المفرد . وبذلك يمكن أن يوصف بأنه قد اقتصر على ما يُسمَّى النحو فقط» .

أقول : إن الكلام على قول المحقق يلزمني أن أبسط القول فيه .

قال : إن مادة الكتاب هي التركيب اللغوي ، وكأنه أعجب بهذه العبارة الجديدة وهرب من الكلمة التي هي مصطلح نحوي وهو «الجُمَل» . ومن هنا رأيت أن «الجمل» أحرى به - أي المحقق - أن يتمسك بها عنواناً كما وردت في الأصل المخطوط . ثم إن «التركيب اللغوي» لا يعني «الجمل» بل إنه قاصر عنها . أن

التركيب اللغوي قد يكون جاراً ومجروراً وقد يكون متضايفين نحو : كتاب علم ، والتركيب اللغوي قد يكون مركباً مزجياً أو مركباً إسنادياً ، وأين جملة هذا من مصطلح «الجملة» ! !

٣ - ثم قال المحقق : «إن الكتاب لا يعنى بأصوات العربية» .

أقول : كأنّ النحاة بعد سيبويه والمبرد وابن السراج وقليل غيرهم(١١) ، لم يروا مادة الأصوات تؤلف شيئاً من النحو ، ولذلك لم يكن في شروح ألفية ابن مالك ولا في غيرها من كتب النحو القديم مادة في الأصوات العربية . وكأنّ هذه المادة صارت شيئاً يتصل بالأداء والتلاوة . وهي في عصرنا مما لا نواجهه في مادة النحو ، بل يتم لنا ذلك ونحن نقرأ علم اللغة الحديث « Linguistique » .

ولكني أقول : إذا كان «المحلّى» هذا في نحو العربية التي سعى إليها ابن شقير أن تحبس على الجمل في أحوال النصب والرفع والجزم ، فهل من حاجة إلى أن يلصق بدرسه مادة الأصوات ؟

٤ - وقال المحقق :

«إن الكتاب لا يعنى بالصرف الذي يعالج بناء اللفظ المفرد ....» .

أقول : إن الصرف في العربية علم يتصل بـ «بنية» اللفظ مفرداً أو مثنى أو جمعاً ، وقد يكون لنا أن ندخل مادة الأصوات في هذا الدرس اللغوي ، ومن هذا نجد أن «الإعلال» أو «الإبدال» مفتقرة إلى معرفة الأصوات وما يعرض لها لعلّة من العلل الصوتية .

٥ - وقال المحقق في الصفحة (٢٢) :

«ويلحظ في هذا القسم خلوّه من تخصيص للمقدمات النحوية ، الذي يتصدّر كثيراً من المصنفات النحوية الأخرى» .

أقول : لم أتبيّن «القسم» الذي أشار إليه ، والذي «خلا من تخصيص باب للمقدمات النحوية» ، ولم أعرف «المقدّمات النحوية» ، وما طبيعتها وما مادتها . وكان عليه أن يشير إلى هذه «المقدّمات» في المصنفات النحوية الأخرى .

٦ - وجاء في هذه الصفحة أيضاً قول المحقق :

«جمل الأدوات (١٢) : يحتلّ هذا القسم الثلث الأخير من الكتاب تقريباً ، وفي هذا القسم ينظر المصنف في عدد من حروف المعاني ، أو ما قد يسمى (الأدوات النحوية) ....» .

أقول : لا نعلم وجود «جمل» للأدوات . وكأن المحقق وضع هذا المصطلح الذي لا وجود له ثم ذكر مادة هذا القسم، وهي «حروف المعاني أو الأدوات النحوية» .

إن هذه الحروف لا يمكن أن تكون في هذا المصطلح الذي تخيّله المحقق .

٧ - وجاء في الصفحة (٢٣) قول المحقق في «قيمة الكتاب» :

«أقبل البصريون والكوفيون على العربية يدرسون قواعدها في ... ولحقهم البغداديون والأندلسيون والمصريون من النحويين ....» .

أقول : إن «البغداديين» من النحويين لم يؤلفوا مذهباً خاصاً ، غير أن هؤلاء قد كانوا في الأغلب كوفيين سكنوا بغداد ، وكان منهم المؤدبين لأولاد الخلفاء . وليس لنا أن نعد الأندلسيين والمصريين أصحاب منهج خاص بهم ؛ لأن هؤلاء تبعوا المشارقة فتجد أغلبهم قد شمّر في النحو البصري في حين كان منهم من تبع الكوفيين في مسائل خاصة . ونستطيع أن نقول : إن عامة هؤلاء أصحاب اختيار وانتقاء ، وقد يكون بينهم من كان له نظر خاص (١٣) .

٨ - وجاء في هذه الصفحة أيضاً قول المحقق :

«وكتاب (المحلّى) لابن شقير موجز في مادته ، جليل في نفعه : إنه يكشف لنا طريقاً في الدرس النحوي ، ويعدّ أثراً من آثار البغداديين الأوائل الذين خلطوا بين المذهبين البصري والكوفي ، وكانوا إلى آراء الكوفيين أميل . من أجل هذا ، أرى أن لكتاب (المحلّى) مكاناً لا يزال خالياً في المكتبة النحوية» .

أقول : في هذه الأسطر بدت حماسة المحقق لهذا الكتاب الذي رأى فيه محاسن لم يرها الدارسون. قال: إنه بغدادي من الذين خلطوا بين المذهبين ، وهو أميل إلى الكوفيين . ولكني لم أتبيّن صدق هذه المقولة ، فقد رأيت شيئاً وجد عند هؤلاء وأولئك ، ولم يكن «خلطاً» يفضي إلى إقامة مذهب ثالث جديد .

وقد وجدت حماسة المحقق التي تجاوزت الواقع في قوله : «إن لكتاب (المحلّى) مكاناً لا يزال خالياً في المكتبة النحوية» وهذه هي «الحماسة» التي دعوت الدارسين إلى أن يتخلّوا عنها خدمة للعلم . أقول : لو أن الدارسين في عصرنا عادوا إلى «الكتاب» أي كتاب سيبويه لرأوا فيه مادة نحوية تتصل بـ«علم اللغة» ، وذلك في علم الخليل بن أحمد الذي بثّه سيبويه في «الكتاب» ووضحه وجلاه ، وعلم الآخرين الأوائل كعيسى بن عمر ويونس بن حبيب اللذين ألّفت المادة النحوية لديهما شطراً من الإدراك اللغوي في درس العربية . إن مكان «كتاب» سيبويه مازال خالياً في الدرس اللغوي النحوي التاريخي في عصرنا ، فأنت لا تجد هذا الكتاب مورداً لهم ، وحسبك أن تعرف أن الدراسة النحوية في الأزهر الشريف لا تعرف إلا مصنفات المتأخرين القائمة على شرح ألفية ابن مالك كشرح الأشموني مثلاً .

٩ – وجاء في هذه الصفحة في قول المحقق في «مصادر الكتاب» :

«جعل ابن شقير القرآن الكريم والشعر العربي مصدريه المهمين .....» .

أقول : وهل شذّ أحد من النحويين الأقدمين عن هذا وابتعد عن القرآن والشعر ؟ ليس لنا أن نقول ذلك ، وإذا كان المحقق قد ذهب إلى هذا أليس لي أن أعود إلى هذه «الحماسة» التي يتشبث بها الدارسون في عصرنا ، وهي سبيل مضلّة لا تخدم العلم .

١٠ – وجاء في الصفحة (٢٤) قول المحقق :

«وابن شقير بعد القرآن والشعر يذكر لغات العرب كبني أسد وبني الحارث بن كعب وبني سُليم وتميم وقيس وأهل الحجاز» .

أقول : كلام المحقق هذا كلام من يرسل القول على عواهنه ، وقد كان عليه أن يعرف مواطن هذه القبائل ، وأين تكون من الحجاز ، وأين تكون من بادية نجد ، وفاته أن يعرف أن هذه المواطن متداخلة . ولو أنه من أهل التدقيق لتصور له مخططاً أو «خارطة» تبدو فيها هذه المواطن .

ثم هل كان صاحبه ابن شقير من اختص بهذه الفوائد اللغوية التي تشير إلى القبائل ، كان المحقق لم يشق بالنظر في «كتاب» سيبويه الذي جاء فيه القدر الكبير من لغات القبائل ، ولكنه نكص عن هذا كما نكص جمهرة الدارسين ، وكأنهم اتعّظوا بقول ابن السراج إلى من كان يطلب منه أن يقرأ عليه «الكتاب» . لقد كان يقول لهذا الدارس الذي يتوخّى الصعب : «إذن ركبتَ البحر» .

١١ – وجاء فيها أيضاً قول المحقق :

«ولم يذكر سابقيه من النحويين إلا نادراً ، فهو لم يورد في كتابه غير أسماء أبي عمرو بن العلاء ويونس والخليل وسيبويه والفراء .....» .

أقول : ذكر المحقق كما ذكر المصنف نفسه أن كتابه موجزاً ، وقد توخّى الإيجاز . وكأنه أراد أن يكون كتابه للشداة الدارسين ، فهو بهذا التوجّه أعفى نفسه من ذكر السابقين من النحاة .

١٢ – وجاء في الصفحة (٢٥) قول المحقق في «أثر الكتاب» .

أقول : لقد ذهب المحقق إلى أن درس ابن شقير للأدوات النحوية يشير إلى قيمته العالية . وأنت تجد المصنفات النحوية قبل ابن شقير للبصريين والكوفيين حافلة بهذه المواد .

هذا بعض ما جرّت إليه حماسة المحقق .

ثم نأتي إلى الباب الثالث من مقدمة المحقق ، وقد جعله في «منهج التحقيق» .

١ – جاء في كلام المحقق على نسخة «قوله» المخطوطة في الصفحة (٢٩) :

« ... وإن في آخرها إضافات ليست في نسخة أياصوفيا . وبعد تمام الكتاب أوردت النسخة تفسير الفاءات وتفسير النونات ، وتفسير الباءات وتفسير الياءات ، ثم تمّت النسخة . وبعد ذلك أضيف إليها فصلان ، أحدهما في (رُوَيد) ، والآخر في الفرق بين (أمْ) و (أوْ) . وهذان الفصلان يوافقان ما ورد في كتاب (معاني الحروف) للرمّاني الذي حققه ونشره الدكتور عبدالفتاح شلبي» .

أقول : إن هذا الذي أثبتُّه من قول المحقق في نسخة «قوله» المخطوطة التي رمز إليها بالحرف (ق) لم

يرد في «المحلّى» المنشور بين أيدي الدارسين ، فكأن المحقق استبعده من نص «الكتاب» ، وآثر ما وجده في نسخة أيا صوفيا المخطوطة التي رمز إليها بالحرف (ص) . غير أن المحقق لم يشر صراحة إلى هذا الذي استبعده من النص وعدّه من غير مادة «الكتاب» . وكأنه جعل ما في النسخة (ص) الأصل المعتمد أو النسخة (الأم) كما يقول أهل التحقيق ، ولكنه لم يقل هذا الذي ذهب إليه حين تحدَّث عن (ص) ، ولم يذكر الأسباب التي دعته إلى هذا النهج ، وكان عليه أن يقول ذلك .

فأمّا تلميحه إلى زيادة هذه المواد وجعلها ملصقة بأصل الكتاب فيبدو من قوله :

«وبعد تمام الكتاب ...» .

فكيف علم المحقق أن هذه الزيادات من تفسير الفاءات والنونات وغيرها ... ليست من «الكتاب»» ؟

وإن الكلام على «رُوَيد» و «أمْ» و «أوْ» ، من المواد التي ألصقت وحشرت مع نص «الكتاب» ، كيف تأتّى للمحقق أن يخلص إلى هذا ؟ ؛ هذا ما لم يُشر إليه . ثم لمّح إلى أن الفصلين اللذين أُلحقا بالكتاب وهما في «رويد» و «أمْ» و «أوْ» يوافقان ما ورد في كتاب الرماني «معاني الحروف» .

ولنا أن نسأل المحقق : هل جيء بالفصلين المشار إليهما من كتاب الرمّاني وأُلصقا بالمحلّى ؟ ثم أن «معاني الحروف» قد نشر في العراق مرتين قبل نشرة عبدالفتاح شلبي .

وأخلص إلى أن الكلام على الأصلين المخطوطين ناقص وغير مفيد في جملته .

ثم قال المحقق في «تحقيق نسبة الكتاب» في الصفحات ٣٠ - ٣٤ جاء فيه :

١ - «لا يمكن قبول نسبة الكتاب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي للأسباب التالية :

قال أبوبكر الزبيدي عن الخليل إنه لم يؤلف في النحو حرفاً ، ولم يرسم فيه رسماً ، نزاهة بنفسه وترفعاً بقدره » (١٤) .

أقول : لقد أشرت إلى أن الكتاب ليس من صنع الخليل لأن فيه إشارات واضحة تدل على ذلك ، وهي أن فيه نقلاً عن سيبويه والفراء ، وهذا يفسد نسبة الكتاب إلى الخليل . ثم أن في الكتاب إشارة إلى أنه من صنع ابن شقير لإشارته في الصفحة الأولى إلى كتاب «مختصر في النحو» ، وهو لابن شقير نفسه .

غير أني أقول إن استشهاد المحقق بقول أبي بكر الزبيدي الذي جاء فيه : أن الخليل لم يرسم في النحو رسماً ...

إن الخليل رسم في النحو رسماً واضحاً وإن لم يكن ذلك الرسم بخطه وصنعته ، وذلك في القدر الوافي الذي أثبته سيبويه في «الكتاب» من آرائه .

أقول : إن توسع المحقق في مسألة إبطال نسبة الكتاب إلى الخليل بن أحمد لا مكان له في هذا الدرس، فالأمر واضح ، وبحسبه أن يوجزه بذكر الإشارات التي وردت في «الكتاب» التي تدل دلالة واضحة على أن الكتاب ليس للخليل بن أحمد الفراهيدي ، كما أنه ليس للخليل بن أحمد السجزي المتوفى سنة ٣٧٩هـ .

٢ - ذكر المحقق «إنّ في (الكتاب) مصطلحات كوفية كثيرة ليست في كتب البصريين وألغازاً نحوية - شاعت متأخرة - ليست من دائرة اهتمام الخليل بن أحمد الفراهيدي ، إمام البصريين ، وشيخ سيبويه» .

أقول : لا يهمني ما اتصل من هذا الكلام بإبطال نسبة «المحلّى» إلى الفراهيدي ؛ لأن ذلك ما انتهينا منه وحسبنا إن إطالة المحقق فيه تجاوزت القدر اللازم ، ولكني أقف عند وجود «الألغاز النحوية» في «الكتاب» ، ومسألة الألغاز النحوية ليست مما عرف في القرنين الثالث والرابع ، ثم إن ابن شقير من رجال القرن الثالث وإن أدرك القرن الرابع قليلاً .

إن وجود «الألغاز النحوية» في «المحلّى» يشير إلى أن شيئاً قد دخل الكتاب ليس منه ، ويدل على هذا الزيادات التي زعم المحقق أنها جاءت في نسخة (ق) ولم ترد في نسخة (ص) واحتمل المحقق أنها من «معاني الحروف» للرمّاني .

٣ - وجاء في كلام المحقق في هذه المسألة ، وهي «نسبة الكتاب» قوله :

«إن ابن شقير من كبار البغداديين الذين مالوا إلى النحو الكوفي ....» .

أقول : ليس في نهج ابن شقير في «المحلّى» ما يدل على أنه بغدادي ميال إلى الكوفيين . وعندي أن من سُمّي بغدادياً من النحاة هو كوفي أصالة وعلى رأس هؤلاء أبو العباس «ثعلب» الذي نعت بـ «البغدادي» .

إن في «المحلّى» مادة نحوية توافق البصريين وأخرى فيها مصطلح كوفي ، وثالثة وهي كثيرة اتسمت بنظر خاص بابن شقير لا نستطيع أن نقول : إنها بصرية أو كوفية وسترى هذا عند الكلام على «الكتاب» .

ثم نأتي إلى كلام المحقق على سير التحقيق في الصفحات ٣٣ - ٣٥ جاء فيه : «قرأت نسختيْ الكتاب للاطمئنان إلى مستوى المضمون ... وللتعرف إلى كيفية تناوله ...» .

أقول : إن الفعل «تعرّف» بالزيادة متعدٍّ يصل إلى مدخوله فلا يقال : تعرفت إلى الشيء أو على الشيء ، وهذا هو الشائع في عربية عصرنا .

وجاء أيضاً قول المحقق :

«راعيت عند النسخ قواعد الرسم الحديثة .... وعملت على حصر الألفاظ بين علامات التنصيص مع مراعاة حكاية اللفظ ....» .

أقول : ما معنى قول المحقق : «مع مراعاة حكاية اللفظ» ؟

ثم آتي إلى «الكتاب» فأقول :

من الحق أن أقول إن جهد المحقق في ضبط النص والنظر في الأصلين (ص) و (ق) كان حسناً ، ثم أن تعليقاته الأخرى كنسبة الشواهد إلى قائليها كان حسناً أيضاً .

غير أني وجدت في الصفحة الأولى قول المصنف:

«فمن عرف هذه الوجوه [أي وجوه الإعراب] بعد نظره في ماصنفنا في «مختصر النحو» قبل هذا ، استغنى عن كثير من كتب النحويين» (١٥) .

أقول : هذه هي «الحماسة» غير المستحبّة التي يصاب الدارسون قدماء ومحدثون بها ، ولكني أقول :

«كل فتاة بأبيها معجبة» .

وسأعرض لخصوصية ابن شقير في المصطلح ، ولا أعزوه إلى أصل قديم بصري أو كوفي فأقول : جاء في «وجوه النصب» : (١٦) .

أقول : الذي يفاجأ به القارئ في «المحلّى» طريقة وضع ابن شقير لمصطلحه ، فلا يقول مثلاً : نصب المفعول به أو نصب الظرف ، ولكنه يقول : «نصب من مفعول» و «نصب من ظرف» و «نصب بالتعجب» و«نصب بـ "حتى" وأخواتها» و «نصب من مصدر» ...

وفي هذه الوجوه نجد «نصب من قطع» نحو قولك: هذا الرجل واقفاً ، وهذا زيد عالماً ، قال الله جل ذكره (وهذا صراط ربّك مستقيماً)، (وهذا بعلي شيخاً) (١٧) . ونحن نجد هذا من باب النصب على الحال لدى البصريين و الكوفيين . وقد جاء مصطلح «القطع» لدى الفراء في «معاني القرآن» (١٨) ولكن الفراء وسائر الكوفيين قد استعملوا «الحال» مع مصطلح «القطع» .

وابن شقير يستعمل أيضاً الشائع المعروف لدى البصريين وغيرهم كقوله : «النصب من الحال» (١٩) نحو قولهم : « أنت جالساً أحسنُ منك قائماً» .

ومثل هذا التردد بين المصطلح البصري والمصطلح الكوفي قول ابن شقير : «النصب بالتفسير» (٢٠) أو «من التفسير» نحو قولهم : «عندك خمسون رجلاً» ، قال الله - عزّ وجلّ - : (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً) .

«والتفسير» مصطلح كوفي نجده في «معاني القرآن للفراء» (٢١) . ونجد «التمييز» وهو مصطلح بصري ، لدى ابن شقير في قوله :

«النصب من التمييز» (٢٢) نحو قولهم : أحسن وجهاً ، وقال تعالى : (قل هل أنبّئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً) .

ومثله : (خير عند ربّك ثواباً وخيرٌ مَرَدًا) .

وهو يعبّر بـ «النصب بالنفي» (٢٣) ويأخذ من باب لا النافية للجنس ، وهو بهذا لا يفرّق بين النصب والبناء على الفتح ، ويمثل لهذا «النصب» بقوله : لا مالَ لعبد الله ، ولا عقل لزيد .

والذي يهم ابن شقير هو مصطلح «النصب» فهو يقول: «النصب بـ"حتى" وأخواتها، ولا يخصص "حتى" بمعناها وهو "الغاية"، والناصب لديه هو "حتى" نفسها وليس "أن" مضمرة بعدها كما يقول البصريون.

لأن النصب بـ«حتى» نفسها هو رأي الكوفيين الذين لايشترطون في الأداة العاملة أن تكون مختصة، وهذا بخلاف البصريين الذي يشترطون الاختصاص (٢٤). ومثل هذا قول ابن شقير «النصب بالجواب بالفاء» (٢٥) نحو قولهم: أكرم زيداً فيكرمك، إن هذه الفاء هي «الفاء السببية» التي ينصب بعدها الفعل بـ«أن» مضمرة عند البصريين.

وقد يشتطّ ابن شقير فيأتي بمصطلحه جملة غامضة ويشرحها ويزيد الإغماض، وذلك في قوله:

«النصب الذي فاعله مفعول ومفعوله فاعل» (٢٦).

قال ابن شقير في شرح عبارته: «والنصب الذي فاعله مفعول ومفعوله فاعل، مثل قوله – جلّ وعزّ – في آل عمران: (قال ربِّ أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر)، والحدثان للمخلوق لا للكبر. ومثله في «مريم»: (واشتعل الرأس شيباً)، والحدثان للشيب لا للرأس، ومعناه: وقد بلغتُ الكبرَ.

ومثله: (ما إنّ مفاتحه لتنوءُ بالعصبة أولي القوّة)، معناه: لتنوء العصبة بمفاتحه ....» (٢٧).

أقول: إن هذه الشواهد من لغة التنزيل ترد شواهد في أبواب مختلفة من النحو كالتمييز في الآية ٤ من سورة مريم. ويبقى أن أقول إن شرح المصنف لم يبعد الغُموض عن عبارته التي جعلها مصطلحاً. إن «المصطلح لدى ابن شقير يفقد قيمته الاصطلاحية في التعبير عنه فهو يقول: (النصب من نداء النكرة الموصوفة) (٢٨) نحو قولهم: يا رجلاً في الدار، ويا غلاماً ظريفاً».

أقول: هذا هو النكرة غير المقصودة في كتب النحو، وحق المنادى فيها النصب. إن التصرف بالمصطلح على هذا النحو لم يأت من أن المصنف يميل إلى الكوفيين كما ذكر المحقق، بل إن ذلك سمة اختص بها لا صلة لها بأيّ من المذهبين وقد تقف في كلام ابن شقير على مصطلح أريد له الابتعاد عن الوضوح كقوله: «النصب من اسم بمنزلة اسمين» (٢٩).

أقول: وهو يريد التمييز المنصوب الذي يأتي بعد العدد المركب نحو قولهم: أتاني خمسةَ عشرَ رجلاً.

وكأن ابن شقير أراد أن يجمع جملة المنصوبات في العربية فجاء من ذلك قوله: «النصب بخبر "مابال" وأخواتها» (٣٠).

وهذا نحو قولهم: ما بالُ زيداً قائماً. وقال تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين) وقوله: (فما لهم عن التذكرة معرضين). إن «مهطعين» و«معرضين» خبر «ما» في الآيتين.

ومن هذا قوله: «النصب من مصدر في موضع فعل» (٣١).

أقول: هذا وغيره ليس من المصطلح في شيء، وإن ابن شقير يحصي المنصوبات فجاء إلى هذا بعبارته غير المفصحة. إنه اراد المصدر في قوله تعالى: (سُنّةَ الله التي قد خلت من قبل)، قال: «نصب "سُنّةَ الله" لأنه مصدر في موضع فعل، كأنه قال: سنّ الله سنّةً، فجعل في موضع «سنّ» «سُنّةً» وهو مصدر، فأضافه وأسقط التنوين للإضافة» (٣٢).

وهكذا استمر في ذكر المنصوبات كالنصب بالأمر والمدح والذمّ والترحم وغير ذلك. ثم أتى إلى «النصب بالصرف» (٣٣).

وهو كقولهم: لا أركبُ وتمشي، و: لا أشبع وتجوع فلما أسقط الكناية، وهي «أنتَ» نصب لأنه مصروف عن وجهه.

أقول: هنا ظهر التزام ابن شقير بشيء من النحو الكوفي في مصطلح «الصرف»، وهو يدخل في باب المفعول معه وواو المعية لدى النحاة البصريين.

ثم أتي إلى وجه يستحق وقفة خاصة وهو:

«النصب من خلاف المضاف» (٣٤) والنصب من خلاف المضاف قولهم: هذا ضارب زيدٍ، تخفض «زيد» بإضافة «ضاربُ» إليه، فإذا أدخلت التنوين على «ضارب» خالفت الإضافة وصار كالمفعول به، فنصبت «زيداً» بخلاف المضاف (٣٥).

أقول : كان المصنف قد جعل النصب موقوفاً على التنوين فاستشهد بقوله تعالى : (ونزَعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً) فقال : نصب «إخوانا» للتنوين ومجازه من غلِّ إخوانٍ ، وكذلك : (أربعةِ أيّامٍ سواءً) نصب «سواء» لمجيئه بعد التنوين .

أقول : ليس الأمر كما ذهب بل قال النحاة الذين ميّزوا بين قولهم : «أنت ضاربٌ زيداً» وقولهم : «أنت ضارب زيدٍ» ، فقالوا :

إن اسم الفاعل الناصب للمفعول دلّ على الحال والاستقبال ، في حين أنه إذا أضيف كانت دلالته على المضيّ .

وقد ترى مشكلات وقفت أمام النحاة في لغة التنزيل فراحوا يتأوّلونها بما لا يقنع ، من ذلك قول ابن زريق :

«النصب على الاستغناء» (٣٦) وتمام الكلام مثل قول الله تعالى في «الطور» :

(والطور ، وكتاب مسطور ، في رَقٍّ منشور ، والبيتِ المعمور) إلى قوله : (إن المتقين في جنّات ونعيم ، فاكهين بما آتاهم ربُّهم) نصب «فاكهين» على الاستغناء وتمام الكلام .

وفي سورة الذاريات : (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ....) ومثله «فارهين» في سورة الشعراء (٣٧) ، و «خالدين» في سورة البقرة (٣٨) .

أقول : ما معنى «الاستغناء» و «تمام الكلام» والمنصوب في هذه الآيات يتمّ به المعنى وهو متطلبٌ مراد ! !

ثم نأتي إلى شيء مثل هذا هو «النصب بالمواجهة» (٣٩) نحو قوله تعالى : (إياك نعبُدُ وإياك نستعين) و«إياك» في محل النصب برجوع الفعل عليه .

أقول : هذا تقصير في القول ، ذلك أن تقديم إياك في قوله تعالى : «إياك نعبد» متطلبٌ مراد ، وهو أن التقديم يوجب الحصر ، أي أنك وحدك المخصوص بالعبادة . وأما قوله تعالى : (إياك نستعين) فهي لهذا السبب وغيرها ، وهو شيء بالتناسب ومراعاة الفواصل الذي هو أسلوب لغة التنزيل العزيز .

كلمة أخيرة :

قد يكون أن اجتزئ بهذا القدر من وقفاتي على مقدمة المحقق و «وجوه النصب» من «المحلّى» لأخلص أن لابن شقير خصوصية خاصة تتجاوز الانحياز أو الميل لأيٍّ من المذهبين .

والكتاب كذلك في جملة ما ورد فيه من مواد تتصل بوجوه الرفع ووجوه الخفض ووجوه الجزم ، وبالأدوات .

على أني لو توسعت في القول لوجدت في هذا «المحلّى» مسائل تفقده حليته ، وأضرب مثلاً على ذلك فأقول :

جاء في الصفحة (١٦٤) قول ابن شقير مصنّفه :

ولابد من جواب القسم كما قال الله - جلّ وعزّ - : (والعصر ، إن الإنسان لفي خسُر ، إلاّ الذين آمنوا) ، جوابه «إن الإنسان» ، وإنما كسرت الألف من «إنّ» للاّم التي في «لفي خسُر» ، واللام جواب القسم ... » .

أقول : لي قول على هذا الذي ذهب إليه المصنف ، وقولي هو قول المتقدمين من النحاة وهو إن «كسر همزة إن» ليست لوجود اللام في جواب القسم بل إن الهمزة تكسر إن وقعت «إن» في جواب القسم بصرف النظر عن وجود اللام في جواب القسم أو عدمه .

أقول : مثل هذا التعقيب كثير مما يجب أن يقال في «المحلّى» الذي ارتضاه المحقق الفاضل اسماً للكتاب ، ولو أنه أدرك إن كتاب ابن شقير ، وهو «الجمل» في الأصل ليس له من مظاهر الحلية ، لأقلّ من «حماسته» في إطلاق هذه الاسم .

وقد ألتمس العذر للمحقق إذ كان المصنف نفسه مزهواً «بحليته» هذه إلى أبعد الحدود .

الهوامش

١ - كتاب «المحلّى» لأبي بكر أحمد بن الحسن ، ابن شقير المتوفى سنة ٣١٧ هـ انظر : نزهة الألباء ص ١٨٧ ، وأخبار النحويين البصريين ص ١٠٩ ، وبغية الوعاة ص ١٣٠ حققه وقدّم له الدكتور فائز

فارس (مؤسسة الرسالة في بيروت ودار الأمل في الأردن) .
٢ – انظر ص ٢٩ – ٣٠ مقدمة المحقق .
٣ – معجم الأدباء ٣ / ١١ .
٤ – بغية الوعاة ص ١٣١ .
٥ – نزهة الألباء ص ٢٩ – ٣٠ .
٦ – الذريعة إلى تصانيف الشيعة كتاب في مجلدات عدة طبع شيء منها بعد وفاة المؤلف . وكان طبعه في النجف وإيران .
٧ – المحلّى ص ٢٩ – ٣٠ .
٨ – انظر المحلّى ص ١٣٧ .
٩ – المحلّى ص ٧ .
١٠ – المصدر السابق الصفحة الأولى من نص الكتاب .
١١ – كان سيبويه أول من عرض للأصوات العربية في «الكتاب» في باب عقده على الإدغام . وفي «المقتضب» للمبرد مادة في الأصوات العربية ، وقد صنف ابن جني كتاباً في «الأصوات» هو «سر صناعة الإعراب» .
١٢ – أخذ المحقق هذا المصطلح من المصنف في آخر كتابه على الأدوات فاستعمل «أدوات الواوات» و «جمل . اللامات» وغيرها ، وهو يريد مجموع الواوات ومجموع اللامات .
١٣ – لعل من هؤلاء ابن مضاء القرطبي الذي صنّف كتاب «الردّ على النحاة» عامة ذاهباً إلى إلغاء العامل ، وعدم النظر في العلل التي صنعها النحويون .
١٤ – انظر المزهر ١ / ٨٠ .
١٥ – المحلّى ص ١ .
١٦ – المصدر نفسه ص ٢ .
١٧ – المصدر نفسه .
١٨ – معاني القرآن انظر كلام الفراء على قوله تعالى : (وهذا بعلي شيخاً) و (تلك بيوتهم خاوية) .
١٩ – المحلّى ص ١٠ .
٢٠ – المصدر السابق ص ١٥ .
٢١ – انظر قول الفراء في «المعاني» في الآية المشار إليها (بعلي شيخاً) .
٢٢ – المحلّى ص ١٥ .
٢٣ – المصدر السابق ص ١٧ .
٢٤ – انظر «حتى» في «مغني اللبيب» .
٢٥ – المحلى ص ١٩ .
٢٦ – المحلّى ص ٢١ .
٢٧ – المصدر نفسه .
٢٨ – المصدر نفسه ص ٢٣ .
٢٩ – المصدر نفسه ص ٢٨ .
٣٠ – المصدر السابق ص ٣٠ .
٣١ – المصدر نفسه ص ٣١ .
٣٢ – المصدر نفسه ص ٣١ .
٣٣ – المصدر نفسه ص ٤٢ .
٣٤ – المصدر نفسه ص ٤٥ .
٣٥ – المصدر نفسه ص ٤٥ .
٣٦ – المصدر نفسه ص ٥٤ .
٣٧ – ١٤٩ / الشعراء .
٣٨ – ١٦٢ / البقرة .
٣٩ – المحلى ص ٦٤ .



تسويق خدمات المكتبات العامة

هشام بن عبدالله بن عباس
أستاذ مشارك ورئيس قسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

المقدمة

إن المكتبة العامة بوصفها خدمة عامة ، وجدت لتكون مركزاً يوفر للمستفيد اختيار ما يحتاجه وينفعه كما أن لها دوراً في إرشاده وتوجيهه ، ودعوة من لا يقرأ ليقرأ ، ثم إن من بين أهم أهدافها أن تعمل على رفع مستوى الإدراك لدى الأفراد والجماعات وتعليمهم . إضافة إلى تكوين وعي لدى الفرد بأدق المسائل العامة والخاصة .

فالمكتبة المعاصرة اليوم عبارة عن خلية حية في بنية المجتمع ولم يعد دورها قاصراً على توفير المعلومات ومصادرها لمن يريدها وإهمال الآخرين فقد أصبحت تشارك في الحياة العامة للمجتمع المحيط بها . فكما يتنقل المواطن بحرية في سوق عامة بين أصناف المواد ليختار ما يريد من تجهيزات منزلية وأدوات مدرسية ومواد غذائية .. فهو في حاجة أيضاً إلى سوق فكرية تغذي روحه ويتمتع داخلها بحرية الاختيار والتنقل بين أصناف المعرفة . وبإزالة الحواجز الموجودة بين المستفيدين والمصدر وبترك المكتبة ومواردها في متناولهم يذهبون بأنفسهم إليها ويختارون ما يرغبونه ، تصبح المكتبة الحديثة بحق سوقاً ثقافياً تتوافر فيها جميع الأصناف وما على المستفيد سوى الاختيار .

لذلك فإن من الأهمية بمكان أن تحاول المكتبات رفع مستوى خدماتها وفعاليتها لإشباع حاجيات ورغبات الأفراد المتفاوتة والكثيرة بإنتاج ما يمكن تسويقه وليس بإنتاج ما يمكن إنتاجه ، وذلك باستقلال الأساليب المتبعة في علم التسويق في تسويق خدمات المكتبات لأن التسويق يسعى في العادة إلى تحقيق أمرين رئيسيين:

١ - اكتشاف رغبات المستفيدين أو المستهلكين وترجمتها في شكل مواصفات إلى المنتجين .

٢ - توصيل السلع والخدمات للمستهلكين بغرض إشباع هذه الرغبات .

كما أن التسويق يركز كثيراً على الأهداف والغايات مما يمنح المكتبات الفرصة للتركيز والاهتمام بتقديم وتوفير أفضل الخدمات وأهمها وأكثرها قيمة وفعالية للمستفيدين وبمعنى آخر فإن علم التسويق فلسفة وطريقة عملية ناجحة لتقديم خدمات فاعلة .

أهداف الدراسة :

يهدف هذا البحث إلى إبراز الحاجة إلى الاستفادة من علم التسويق وتطبيقاته في مجال خدمات المكتبات ومراكز المعلومات ، تلك الحاجة التي لم تحظ بالعناية الضرورية بعد . كما يهدف البحث إلى التعريف ببرامج التسويق وكيفية إنشائها والتخطيط لها في المكتبات العامة بالذات .

أهمية الدراسة :

يستمد هذا البحث أهميته من منطلق تركيز المكتبات المعاصرة على بث المعلومات والبحث عن أفضل الأساليب لتمكين المستفيد من الإفادة منها في أقل وقت ممكن وبأقل جهد ، وكذلك من منطلق أن التقييم الحقيقي لفاعلية المكتبة يعتمد أساساً على مدى استخدامها ومدى ما تقدمه من خدمات

للمستفيدين وذلك بناء على رغباتهم واحتياجاتهم ، هذا إلى جانب بروز منافس جديد للمكتبات في ساحة توفير المعلومات للمستفيدين وهم وسطاء المعلومات أو ما يسمى بالمكاتب الاستشارية الحديثة وبنوك وقواعد المعلومات إذ أنه وإلى وقت قريب كانت المكتبات هي المكان الوحيد لإشباع رغبات العملاء وتزويدهم بحاجتهم من المعلومات .

لذلك كان لزاماً على المكتبات أن تتعرف على ملامح وسمات المستفيدين الذين تتعامل معهم باستخدام أفضل الأساليب المتاحة والتي من أهمها الأساليب التسويقية الحديثة التي تعدّ المستهلك أو المستفيد محور النشاط التسويقي ويتوقف على رضاه نجاح المنشأة في تحقيق أهدافها والاستمرار في النمو والتقدم .

تساؤلات الدراسة :

- إلى أي مدى يمكن الإفادة من نظريات علم التسويق وتطبيقاتها في مجال المكتبات والمعلومات ؟
- ما أهم الأساليب التسويقية التي تتناسب وخدمات المكتبات والمعلومات ؟
- إلى أي مدى استغلت المكتبات العامة الأساليب التسويقية في تسويق خدماتها ؟

بعض الدراسات السابقة :

حظي موضوع تسويق خدمات المكتبات باهتمام عدد كبير من الكتاب والمفكرين في دول العالم الغربي حيث نشرت العديد من الدراسات والبحوث والمقالات والكتب التي تبرز الدور الرئيسي والحيوي للتسويق في المكتبات بشكل عام والمكتبات المتخصصة والعامة بشكل خاص ، وأصبح واضحاً للعالم الغربي بل شيء مسلم به أن التسويق هو الأداة الحقيقية لتحقيق أهداف المكتبة ، بل ووسيلتها للبقاء . أما على مستوى العالم العربي ، فلم يحظ تسويق خدمات المكتبات بإهتمام الباحثين باستثناء دراسة واحدة لعبد المجيد بوعزة التي تناولت بالدراسة إمكانية الاستفادة من علوم التسويق من قبل المكتبات العامة (١) .

ومن أهم المؤلفات الغربية في مجال تسويق المكتبات ومراكز المعلومات ،"العرض الشامل الذي قامت به كنج M . F . KING للإنتاج الفكري في مجال تسويق خدمات المكتبات المتخصصة الملحقة بالمصانع وخاصة مكتبات العلوم والتقنية ، وفي النهاية اقترحت كنج (KING) عدداً من الموضوعات القابلة للدراسة والبحث في مجال التسويق (٢) .

ومن أهم الدراسات التي اهتمت بتسويق خدمات المكتبات العامة بالذات ، دراسة دراجون A . C . DRAGON في عام ١٩٧٩ التي أوضحت الأساليب التسويقية التي كان لها أكبر الأثر في استمرارية خدمات المكتبة العامة بمنطقة (OJAI) بولاية كاليفورنيا وساعدت في إنقاذها من توقف خدماتها وقفل أبوابها للجمهور ، وذلك بسبب تعرضها لعجز مادي حاد (٣) .

وفي عام ١٩٨٠م ، ناقش ادنجر J. A . EDINGER كيفية استغلال مفاهيم ووظائف التسويق في المؤسسات غير الربحية أي ذات الأهداف الاجتماعية ومنها المكتبات بالطبع ، وفي النهاية أوصى المكتبات بالاهتمام باختيار المزيج التسويقي المناسب للعميل أو المستفيد (٤) .

وفي عام ١٩٩٠م ، أثبتت الدراسة التي أجراها بيورسل (M . F . PURCELL) عدم فعالية المكتبات العامة في سد احتياجات الأفراد والجماعات بإيرلندا . لذلك فقد أوصى باستغلال مفاهيم وأساليب علم التسويق في تسويق خدمات المكتبات العامة بهدف رفع مستواها وكفايتها وبالتالي كسب المستفيدين كعملاء وأعضاء دائمين (٥) .

التسويق والمؤسسات غير الربحية

اهتمت الدراسات الحديثة بالمفهوم الاجتماعي للتسويق وهو مفهوم حديث ينظر إلى التسويق على أنه نشاط يعمل في ظل بيئة اجتماعية تحيط به ، ولها قوى اجتماعية وسياسية واقتصادية . بمعنى عدم الاقتصار على تقديم برنامج تسويقي متكامل وفقاً لحاجات المستهلكين بل لابد من التطلع أولاً وقبل كل شيء إلى البيئة الاجتماعية المحيطة .

واعتماداً على هذا الاتجاه الحديث في علم التسويق، بدأت الدراسات والمؤلفات العلمية تتجه نحو الاهتمام

بتسويق الأفكار والخدمات بعد أن كانت قاصرة على تسويق السلع .

ومن أوائل الدراسات التي اهتمت بتطبيق فكرة التسويق على المؤسسات غير التجارية (غير الربحية) أي ذات الأهداف الاجتماعية ، دراسة كل من كتلر وليفي KOTLER & LEVY وكتلر وزالتمان KOTLER & ZALTMAN وأخيراً شابيرو SHAPIRO التي نشرت ما بين عام ١٩٦٩ و ١٩٧٣م ، وهي جميعها تركز اهتمامها على إمكانية تطبيق مبادئ تسويق السلع التجارية على الخدمات والأفراد والأفكار (٦) .

وهكذا فإن عقد الثمانينات أصبح يعرف بعصر تسويق الأفكار والخدمات حيث أخذت به كثير من المهن والتخصصات أسلوباً وطريقة جديدة للتصميم والتسعير والتوزيع . وبفضل علم التسويق أيضاً أصبح ترويج الخدمات أكثر فاعلية من ذي قبل .

وقد واجهت فكرة تطبيق أو استقلال علم التسويق في المؤسسات ذات الأهداف الاجتماعية (غير الربحية) صعوبات كثيرة تصل إلى حد الرفض أحياناً إذ اعتقد البعض بأن التسويق ما هو إلا مناورة أو تلاعباً بالأسعار ومضيعة للوقت والجهد والمال ، ولا يمكن أن يكون علماً أو مهنة ، أما البعض الآخر فقد اختلط عليهم الأمر وذلك باعتبار التسويق هو الدعاية أو الترويج ، ولكن مع مرور الوقت فقد استطاع التسويق أن يكسب احترام واعتراف الناس به بوصفه أسلوباً وطريقة جديدة .

مفهوم التسويق :

تطور النشاط التسويقي عبر مراحل تاريخية مختلفة حتى بلغ أهميته القصوى في الخمسينات من القرن العشرين الميلادي ، وفي كل مرحلة من مراحل تطوره ازدادت وظائفه واتسعت لتشكل في عصرنا الحديث محور ومركز الثقل في تحقيق أهداف المنشأة . وقد صاحب تلك التطورات تطور في مفاهيم التسويق وأسهم في وضعها العديد من علماء التسويق أمثال جيروم مكارثي JEROME MCARTHY وفيليب وهاورد M . PHELPS & J . HOWORD ، ووليام استانتون W. STANTON وفيليب كوتلر PH.KOTLER وغيرهم (٧) ، ومن أهم تلك التعريفات للتسويق ما توصلت إليه جمعية التسويق الأمريكية A M A في عام ١٩٨٥م من أن التسويق هو «عملية تخطيط وتنفيذ التوجه العام ، التسعير ، الترويج ، والتوزيع للسلع والخدمات والأفكار بهدف التبادل الذي يحقق أهداف الفرد والمنظمة (٨) .

وكذلك تعريف لير برجرج B. A . LEURBURGAR الذي عرف فيه التسويق بأنه نشاط يهدف إلى إرضاء الحاجات والرغبات ، أو تحقيق منفعة متبادلة بين المستفيد والمنتج على أساس الفهم التام لحاجات المستفيدين ورغباتهم بقصد تصميم العروض التي تسد هذه الحاجات ، وتعرف المستفيد بقيمة هذه العروض من حيث تلبيتها لرغباته وحاجاته ، بل إنه في بعض الحالات يستوجب الأمر ضرورة العمل على إيجاد الرغبة لدى المستفيدين في خدمة أو منتج ما (٩).

كما يعرفه وينجاند D. WEINGAND بأنه تحليل وتخطيط وإعداد وتجهيز وتقييم وتطوير وتحكم في برامج التبادل الإرادي للاهتمامات مع السوق المستهدفة ، وذلك لتحقيق أهداف المؤسسات وغاياتها ، وتعتمد هذه البرامج على تصميم عروض الهيئة أو المؤسسة على أساس رغبات واحتياجات السوق المستهدف ، ثم وضع أسعار مناسبة ونظام للاتصالات وقنوات لتوزيع الخدمات (١٠) .

ومن أهم تعريفات التسويق الملائمة لخدمات المكتبات ، التعريف الذي وضعته كنج R . KING بأنه تقديم المعلومات الصحيحة للشخص المناسب في الوقت المناسب ، وبالسعر الملائم بهدف تلبية احتياجات المستفيد ورغباته (١١) .

وطبقاً للمفهوم الحديث للتسويق ، فإن المنتج أو المؤسسة لا تتيح سلعة أو خدمة معينة ، وإنما تقوم بتسويق المنفعة أو الخدمة الناتجة عنها ، فمثلاً لا تقوم دور النشر بإنتاج كتب وإنما تقوم بتسويق المعرفة .

وعلى هذا الأساس فقد تمكنت المكتبات من استغلال مفهوم التسويق حيث إنها تقوم أساساً على مفهوم تبادل المنفعة ، وعلى أساس ما تتلقاه من دعم مادي أو معنوي مقابل تقديم خدماتها لأفراد المجتمع ،

فميزانيات المكتبات في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً تقوم على أساس الضرائب بالنسبة للمكتبات العامة والمدرسية ، وبشكل أساسي على الرسوم المفروضة على الطلاب بالنسبة لمكتبات الجامعات والكليات ، وعلى أساس الاعتمادات المالية الخاصة بالبحوث المخصصة للهيئة المشرفة على المكتبات المتخصصة .

وعلى الرغم من ممارسة المكتبات لمفهوم التسويق قبل أن يظهر استخدام المصطلح نفسه في المجال ، إلا أن الحاجة لم تظهر إلى تسويق خدمات المكتبات إلا مؤخراً وبالتحديد بعد عام ١٩٧١م بسبب انخفاض الدعم المادي المقدم للمكتبات .

تسويق الخدمات :

ولكي نتمكن من فهم وتحليل الدور الذي يقوم به التسويق ، فإنه لابد من فهم خصائص الخدمات التي تسعى المؤسسات غير الربحية في العادة إلى تقديمها للمجتمع الذي أنشئت من أجله بهدف إشباع رغبات المستفيدين وحاجياتهم . ويقصد بالخدمات هنا أوجه نشاط غير ملموسة تهدف إلى إشباع الرغبات والاحتياجات عندما يتم تسويقها للمستفيدين بمقابل ، أو بدون مقابل .

والخصائص التي يجب وضعها في الحسبان عند التفكير في تصميم برامج لتسويق الخدمات هي (١٢) :

أ - أنها غير ملموسة :

وهذا يعني أن المستهلك الأخير ، أو المستفيد ، لا يمكنه شمها ، أو تذوقها ، أو رؤيتها ، أو لمسها قبل شرائها كما يحدث بالنسبة لعدد كبير من المنتجات ، ومن ثم فإن هناك بعض الوظائف التسويقية لا يمكن القيام بها عند تسويق الخدمات كالنقل والتخزين والشراء .

ب - أنها ترتبط بالمصدر :

وهو ما يتضح في عدد كبير من الخدمات في مجالات الطب والمحاماة والمكتبات ... إلخ والمصدر إما أن يكون شخصاً أو آلة ، لذلك فإن الإنتاج والاستهلاك يرتبطان في كثير من الحالات بحيث لا يمكن فصل الواحد منهما .

جـ - التباين في العرض :

لا يمكن تنميط النتائج من الخدمة بالنسبة لعدد كبير من المشروعات ، فمثلاً تختلف خدمة المراجع من مكتبة لأخرى ، وكذلك الأمر في مختلف أنواع الخدمات . ولا يمكن أيضاً تنميط الناتج من الخدمة بالنسبة للمشروع في جميع المرات التي تؤدي فيها الخدمة ، بل يصعب التنبؤ بجودة أداء الخدمة قبل تقديمها . فمثلاً لا تتميز المعلومات التي يقدمها أخصائي المراجع بالدقة والشمولية نفسها لكل مستفيد مثل الطبيب الذي لا يقوم بمعالجة مرض معين عند المصابين به بطريقة واحدة .

د - عدم القابلية للتخزين :

ولا يمكن تخزين الخدمات في حالة عدم الاستفادة من النتائج المحققة منها في كل مرة تؤدى فيها . ومن ثم فإن مشروعات الخدمات قد تحقق خسائر كبيرة نتيجة لعدم الاستفادة الكاملة من إمكاناتها في كل مرة تقدم فيها الخدمة ، ويبدو ذلك واضحاً على سبيل المثال لا الحصر في المجالات محدودة الاستخدام كما هو الحال مع الأقراص المليزرة CD-ROM ... ومثل حفظ بعض المستخلصات أو القوائم الببليوجرافية ترقباً لطلبها مرة أخرى في وقت قصير .

هـ - تذبذب حجم الطلب :

ويتميز الطلب على الخدمات بالموسمية ، إما حسب الفصول أو في أيام معينة من الأسبوع ، أو ساعات معينة في اليوم ، فمثلاً تزداد الإفادة من المكتبات العامة بالمملكة في أشهر الدراسة ، خاصة الأيام التي تجرى فيها الاختبارات .

لذلك فإن مشروعات الخدمات تلجأ إلى الإعلان والتسعير والتخطيط للاستفادة من إمكاناتها المتعطلة وتشجيع المستفيد على استخدامها دائماً .

الملامح الأساسية للتسويق ونطاقة

يسعى التسويق إلى تحقيق عدة أمور منها :

دراسة السوق أو مجتمع المكتبة :

إن المستهلك هو محور النشاط التسويقي ، يؤدي

رضاه عادة إلى نجاح المنشأة في تحقيق أهدافها في .. الاستمرار والنمو والتقدم .

وعليه فإن من الأهمية بمكان ، دراسة السوق عند التخطيط لتسويق الخدمات ، أو السلع لما للتسويق من أهمية قبل وبعد اتخاذ القرار بإنتاج السلعة أو الخدمة. وبمعنى آخر فإن على إدارة المنشأة أو المكتبة أن تتعرف على طبيعة كل فئات المستفيدين وغير المستفيدين لتحقيق النجاح المطلوب في إشباع احتياجاتهم والتعامل معهم واستقطابهم .

لذلك فعند تحليل المجتمع المحيط بالمكتبة ، فإنه يجب ألا تقتصر دراستنا على المستفيدين فقط بل يجب علينا أيضاً دراسة غير المستفيدين لأنهم يكونون الغالبية العظمى من سكان أية منطقة حول أية مكتبة (١٣) ، ولأن الحاجة إلى المعلومات لا تقتصر على فئة دون أخرى فالجميع في أمس الحاجة إلى المعلومات، ولكن المشكلة تكمن في أن بعض هذه الحاجات (١٤) :

١ - قد يمكن التعبير عنها - لوعي الجمهور - بالحاجة إلى المعلومات فيستعملون المكتبة .

٢ - أو قد لا يتم التعبير عنها رغم وعي الجمهور بالحاجة إليها .

٣ - وقد تكون كامنة راكدة ، ولكن قد تظهر في المستقبل فيتم تطويرها .

لذلك كان لزاماً على المكتبة أن تأخذ في حسابها المستفيد وغير المستفيد في سعيها لإشباع الحاجات المعبر عنها والنهوض بمعرفة وتوجيه الحاجة التي لم يعبر عنها ، ثم تطوير الحاجة الكامنة وإلا ستصبح المنشأة أو المكتبة جسماً راكداً بلا حركة وبدون هدف .

ولتحديد هوية المستفيدين قسم داليا (G . P . D' ELIA) فئاتهم إلى ثلاثة أقسام (١٥) :

١ - فئة مستعيري الكتب الذين يتميزون بكثرة التردد على المكتبة وبكثرة استعارة الكتب إلا أنهم يستغلون الخدمات الأخرى التي توفرها المكتبة .

٢ - فئة المستفيدين الداخليين الذين يتميزون بكثرة التردد على المكتبة وباستغلالهم للخدمات والتسهيلات المقدمة باستثناء استعارتهم للكتب .

٣ - وأخيراً فئة المستفيدين المعتدلين الذي يتميزون بقلة استعاراتهم للمواد ومحدودية استعمالهم للخدمات الموجودة بالمكتبة وبعدم اهتمامهم بالتردد على المكتبة.

ولأن المستفيدين لا يمثلون مجموعة منسجمة ، فإن على المكتبة تحديد السلوك الذي يجب اتباعه مع كل صنف من هؤلاء المستفيدين لتنشيط عادة استعمال المكتبة واستمرار ترددهم عليها ، وبمعنى آخر الأخذ بفكرة تجزئة السوق .

أولاً : تجزئة السوق :

لقد وجدت المكتبات وعلى وجه الخصوص العامة منها لتكون في خدمة المعرفة وشغل أوقات الفراغ ، ولما كان من غير الممكن في الوقت الحاضر إقناع المستفيدين بمناسبة المنتج لاحتياجاتهم وذلك دون الاعتراف بالاختلافات القائمة في أذواق أو رغبات المستهلكين . أصبح من الضروري الأخذ بفكرة تجزئة السوق MARKET SEGMENTATION وذلك بتوزيعها إلى قطاعات متجانسة تتوافر فيه درجة معقولة من التشابه والتجانس في رغبات واحتياجات أعضائه (١٥) وبمعنى آخر تقسيم المستفيدين إلى مجموعات متجانسة ومتشابهة في الاحتياجات والرغبات بهدف توفير خدمات ملائمة لكل فئة أو مجموعة على حدة مع مراعاة الفروق القائمة بينها ؛ لأن سياسة تجزئة السوق تسهم في إنتاج وتسويق سلع وخدمات مختلفة، وفي وضع الاستراتيجيات التسويقية المناسبة لكل قطاع سوقي ، من حيث تحديد المزيج التسويقي وتخصيص الموارد البشرية والمادية بدرجة من الفعالية .

وعلى الرغم من أن المكتبات قد فرقت بين المستهلكين أو المستفيدين عن طريق تقديم برامج وخدمات خاصة بالكبار والصغار والأطفال والفئات الخاصة مما يناسب رغبات كل فئة على حدة ، إلا أن التطبيق يصبح ناقصاً إذا جاء خالياً من تحقيق رغبات المستفيدين إزاء سلعة أو خدمة ما قد تتصف بالتجانس أو التبعثر أو التمركز وهو ما يعني أن خدمة السوق تكون بناء على سياسة تسويقية خاصة

بكل حالة من تلك الحالات .

لذلك يجب علينا عند التخطيط للأنشطة والخدمات عمل التحليل اللازم للتعرف على مكونات السوق ، وتقسيمه إلى أجزائه المختلفة لتتمكن المكتبة من تحديد السياسة المثلى التي يجب اتباعها إزاء هذه الأجزاء ، وبمعنى آخر القيام بمسح حاجات المستفيدين رغباتهم في شكل منتظم .

ثانياً : جعل المكتبة مؤسسة سريعة الاستجابة :

ويصف كتلر KOTLER المؤسسة سريعة الاستجابة بأنها (١٦) :

١ - تشجع المستفيدين على طرح الأسئلة وتقديم الشكاوى والاقتراحات والآراء .

٢ - القيام بدراسات دورية للتعرف على رضا المستفيدين .

٣ - لا يقتصر اهتمامها على مسح رضا المستفيد الحالي بل تهتم أيضاً ببحث احتياجات المستفيدين غير المشبعة ، إلى جانب اهتمامها باكتشاف أفضل الطرق لتحسين خدماتها .

٤ - تعمل على اختيار وتدريب أفرادها على العقلية الاستهلاكية .

ثالثاً : الرضا :

إن الحاجة إلى المعلومات ومصادرها ، يستدعي بلاشك توفير الخدمات القادرة على إشباع احتياجات المستفيدين ورغباتهم بقصد كسب رضاهم ، وبالتالي استمرارية مكاسب المؤسسة .

وعلى الرغم من محاولة المكتبات لاكتساب رضا المستفيدين فإن الإقبال عليها لم يرق إلى المستوى المطلوب حيث يلحظ انخفاض نسبة المترددين ، فهل بإمكان خدمات المكتبات وخاصة المكتبات العامة أن تستجيب لمتطلبات البيئة التي تخدمها بشكل سريع ؟ وما مدى قابليتها للتغير ؟

ومن منظور علم التسيق ، فإن الخدمات كانت قديماً تركز على الإنتاج أكثر من تركيزها على المستفيد كما هو حاصل في العصر الحديث ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن الدعايات التحذيرية تنصب على الفرد وليس على المُنتج كما تمثلت عبارات لا للتدخين ، لا للكلاب ، وفقط للكبار (١٧) .

وقطعاً فإن عدم الرضا عن المكتبات يرجع إلى عدة أسباب منها :

- الاهتمام بالمنتج أي المجموعات أكثر من المستفيد .
- القيود المفروضة على العضوية وأنظمة الإعارة.
- غرامات التأخير .
- ارتفاع رسوم الخدمات .
- محدودية ساعات فتح المكتبة .
- طول قائمة انتظار الكتب المفضلة وغيرها من المواد.

يضاف على ذلك الطبيعة غير المريحة وغير الجذابة لبعض المكتبات القديمة وسوء بعض نظم المكتبات .

ومن هنا فإن من الضروري لخدمات المكتبات أن تصبح USER DRIVEN أي التوجه إلى المستفيد والاهتمام بحاجاته بهدف كسبه عميلاً دائماً بمعنى أن أول ما يجب أن تهتم به المكتبات هو أن يعاود المستفيد المجيء عن ميل وعن رضا متجدد ، وإلا فإن بإمكان المستهلك أو المستفيد أن يتجه إلى مكان آخر يسعى إلى إرضائه وتوفير احتياجاته .

المزيج التسويقي :

ويلي مسح حاجات المستفيدين ورغباتهم لإنتاج وتسويق الخدمات الملائمة لكل قطاع تسويقي ، تحديد المزيج التسويقي MARKETING MIX الذي عادة ما يختلف باختلاف جزء سوق المستهلكين الذي اختارت المكتبة خدمته ، فمثلاً الخدمات التي تقدمها المكتبة لمجتمع الكبار تختلف تماماً في مواصفاتها ومنافذ توزيعها وسعرها وطرق ترويجها عن الخدمات المقدمة للأطفال مثلاً ... وهكذا .

ويتكون المزيج التسويقي من أربعة متغيرات رئيسة تتمثل في الـ (4 , Ps) المنتج - PRODUCT - السعر PRICE المكان PLACE - الترويج PROMTION وذلك بهدف التحكم فيها لزيادة فعاليتها وأرباحها من تقديم أو بيع السلع أو الخدمات المناسبة .

المنتج :

والمقصود بالمنتج - من وجهة نظر المستهلك أو

المستفيد – مجموعة الخدمات أو المنافع التي يحصل عليها المستهلك من شراء السلعة واستعمالها ، التي تشمل منافعها الاستعمالية والاجتماعية والمعنوية . والمنتج بهذا المفهوم لا يقتصر على مجموعة الصفات المادية التي تكونه فحسب ، بل يشمل الفوائد والمنافع التي تعود على مستهلكيه نتيجة استعماله . أي شموله على الأغراض والمنافع التي يريد المستهلك الحصول عليها من وراء شراء هذه السلعة ، فالمستفيد يستعير الكتاب مثلاً لغرض المتعة وقضاء الوقت أو لاجتياز الاختبارات وكتابة البحث ، كما أن دار النشر لا تقوم بإنتاج كتب مثلاً وإنما تقوم بتسويق المعرفة .

وبالنسبة للمكتبات فإن مفهوم المنتج يشمل المعلومات ومصادرها وخدماتها ... وكذلك ساعات فتح المكتبة وتهيئة العمل (بما في ذلك الكراسي وقاعات المطالعة ...) فالذي يهم الجمهور ويحدد رضاه هو أسلوب التعليب وليست البضاعة فقط (١٨) .

لذلك لابد من الاهتمام بتغليف المنتج ؛ لأن الغلاف بالإضافة إلى منفعته في حماية المصادر من التلف والتمزق ، له فوائده الجليلة من ناحية ترويجه واكتسابه مظهراً معيناً يضفي عليه شخصية خاصة . فالغلاف الجيد يساعد على جذب نظر المستهلك للمصدر مما يؤدي إلى زيادة معدل الإفادة وبالتالي زيادة التردد على المكتبة .

وهذا يظهر بوضوح أكثر في المصادر أو الكتب المخصصة للأطفال حيث إن الكتاب المغلف بتغليف جذاب وجيد يجذب انتباههم إليه ومن ثم يدفع بهم إلى قراءته .

ويدخل ضمن التغليف المظهر الخارجي والداخلي لمبنى المكتبة وكذلك هدوء المكان ونظافته وما يتضمنه من أثاث مريح وتجهيزات جذابة ومفيدة وإضاءة كافية ، إلى جانب العرض والتنظيم الجيد للمصادر والأثاث والتجهيزات المختلفة . وكذلك صيانة المجموعات وتجليدها بهدف حمايتها من التلف والتمزق .

كما يجب ألا يؤدي اهتمامنا على بيع منتج بعينه كالمعلومات عن تلبية حاجات وقتية ولكن يجب علينا العمل على تغيير العادات ومحيط المكتبة ، وذلك عن طريق غرس عادات المطالعة والبحث عن المعلومات في المحيط وذلك بأن تقدم نفسها كمصدر أولي ومهم لإشباع تلك الحاجات (١٩) .

ومن هنا فإن من الضروري أن نهيئ للمكتبة الظروف الملائمة لتحدث أثرها الفعال والإيجابي في المجتمع ، كأن تحتوي على مجموعات نشطة ومتنوعة أو برامج مختلفة ، على أساس رغبات الجمهور ومتطلباته لأن تقويم فاعلية المكتبة لا يعتمد فيه على بنائها وتنظيمها ومقتنياتها وموظفيها بل أصبحت المكتبة تقوم بمدى استخدامها ومدى ما تقدمه من خدمات لمستفيديها .

تسعير الخدمات :

إن المفهوم الحقيقي للسعر هو مقدار أو مجموعة المنافع التي يحصل عليها المستفيد من السلعة أو الخدمة المقدمة كجودتها وفعاليتها .. إلى غير ذلك .

ويرى البعض ضرورة تقديم الخدمة بدون مقابل لأن ذلك يؤدي إلى زيادة مبيعات السلعة أو الخدمة بمعدلات كبيرة تفوق الزيادة في نفقات الخدمة نفسها ، مما يؤدي بالتالي إلى توزيع النفقات الثابتة على عدد كبير من الوحدات المباعة من السلعة أو الخدمة فيعين على انخفاض ما تتحمله كل وحدة من نفقات ثابتة .

غير أن هناك محاذير من تقديم الخدمة بدون مقابل إذ قد ينتج عنها عدم اهتمام بها أو مغالاة في طلبها من جانب المستفيدين ، وبالتالي فإنه من الأفضل الحصول على مقابل عن الخدمات التي تقدم للمستفيد ، إما عن طريق فرض غرامات على متأخرات الإعارة ، أو عن طريق تحديد سعر مقابل الخدمة .

ومن أوائل المكتبات التي أخذت بفكرة التسويق هي المكتبات بالولايات المتحدة الأمريكية التي مرت بتجارب عديدة في هذا المجال فقد استطاعت البرامج التسويقية الجيدة في المكتبات خلال مرحلة العجز في ميزانياتها الحصول على تأييد معنوي من المستفيدين ثم على تأييدهم المادي ، مما مكنها من تعويض هذا النقص في ميزانياتها وقد كان تقاضي أجراً مقابل

خدمات المكتبة أمراً مرفوضاً في الماضي ؛ لأن جمهور المستفيدين كان ينظر إلى المكتبات على أنها مؤسسة خدمات دون أجر ، سواء فيما يخص إعارة الكتب أو تقديم خدماتها ، خاصة وأن مجال المكتبات ليس مجالاً للمنافسة وأن الخدمات التي تقدمها لا تقدم في مكان آخر .

ولقد حان الوقت لكي ينظر لهذا الموضوع بمفهوم مغاير ، ففي الوقت الذي يتقاضى فيه وسطاء المعلومات أجوراً مرتفعة مقابل خدماتهم ، فإنهم يحصلون على مصادر المعلومات من المكتبات دون مقابل ، لذلك فمن الممكن أن تفرض رسومات مقابل خدمات إضافية تقدمها لعملائها ، لأن ميزانياتها لا تتمكن غالباً من تلبية احتياجات المستفيدين (٢٠) وتتباين أنماط تسويق الخدمات بين المكتبات على النحو التالي فهناك مكتبات تتقاضى أجراً على إجراء البحث الآلي ، ولكنها لا تأخذ مقابل للخدمات التقليدية أو البحث اليدوي ، وعلى الرغم من أن معظم المكتبات التي تختزن فهارسها في الحاسب الآلي لا تتقاضى مقابلاً للبحث الآلي في الفهارس ، إلا أنها تستطيع أن تغطي هذه التكاليف عن طريق فرض غرامات على متأخرات الإعارة ، وهناك مكتبات لا تتقاضى أجراً مقابل خدماتها غير المباشرة ، ولكنها تحاول تغطية جزء من تكلفة الخدمات المباشرة فقط . وفي حالة إنشاء خدمة جديدة مثل استرجاع المعلومات من قواعد بيانات آلية من خلال شبكة معلومات تفرض المكتبة رسوماً على المستفيد تختلف من مكتبة إلى أخرى ، فبعض المكتبات تتقاضى أجراً على زمن الاتصال ، وبعضها تحدد الأجر بناء على عدد البطاقات المطبوعة مباشرة ON - LINE ، كما أن هناك مكتبات أخرى تتحمل التكلفة بالكامل ، وهناك مكتبات ، تنشئ خدمة الترجمة مقابل رسوم تحددها وعادة ما تكون هذه الرسوم لتغطية التكاليف وليست بهدف تحقيق الربح (٢١) .

وهكذا يتضح لنا أهمية التخطيط لعملية تحديد الأجر مقابل الخدمة ، بما يتناسب مع التكلفة الفعلية ويحقق رضا المستفيدين .

نقل وتوزيع الخدمات :

والمقصود بالنقل هنا نقل ، أو إيصال المعلومات أو الخدمات إلى الجهة التي تشتد فيها الحاجة إليها .

وتعد عملية النقل من العمليات المهمة في إيجاد أسواق جديدة ، أو بيئات جديدة للسلع ، أو الخدمات ، كما تعمل على اتساع السوق أو الأسواق الحالية التي توزع فيها ، وهذا بدوره يساعد المكتبة على زيادة خدماتها ، وقد كان لتطور وسائل النقل والاتصال في النصف الثاني من القرن العشرين أثره البالغ على ازدهار الخدمة المكتبية ، وانتشارها حيث أصبحت لا تقتصر على مدينة ، أو منطقة معينة بل امتد نطاقها ليشمل العالم ككل .

ويتم نقل وتوزيع المعلومات والخدمات عادة ، إما بواسطة ما يسمى بنقاط الخدمة ، والتي تتنوع إلى حد بعيد متدرجة من المكتبات المركزية أو الرئيسة ، إلى الفروع ، إلى محطات الكتب ، إلى نقط الإيداع ، إلى المكتبات المتنقلة .. والخدمة المرجعية ، أو بالاستعانة بوسائل الاتصال الحديثة مثل : الهاتف والفيديوتكس والفيدوداتا والتيليكس والتليفاكس ، والفاكس والأقمار الصناعية والبصريات الشفافة ... إلخ .

وقد قدمت تلك الوسائل لخدمات المعلومات إمكانات هائلة تحقق من خلالها توسع إيصال المعلومات وعرضها ، وقد انعكس ذلك على الأمور التالية :

١ - تبادل إعارة الوثائق بين المكتبات ومراكز المعلومات .
٢ - البحث الآلي المباشر في فهارس المكتبات والمعلومات .
٣ - البحث في قواعد البيانات وبنوك المعلومات .
٤ - القيام بخدمات البث الانتقائي للمعلومات .
٥ - نقل المؤثرات العلمية في وقت انعقادها نفسه وإتاحة المجال للاستماع إلى المناقشات .
٦ - إمكانية إصدار الدوريات والكتب من مكان بعيد وبمعنى آخر إمكانية أن يتسوق الزبون وهو جالس في مقعده وأمام حاسبه ، واثقاً من وصول

طلبه خلال ثوان أو دقائق معينة .

وعليه فإنه من الأهمية بمكان أن تختار المكتبة أفضل الوسائل لتوفير المعلومات والخدمات للجمهور ، كما يجب أن ينصب اهتمامها على مكان وزمان تقديم الخدمة .

وفي إطار المحاولات الجادة للتركيز على المستفيد ، فقد انتشر مؤخراً بين المكتبات تطبيق مبدأ لا مركزية تزويد المستفيد بالمعلومات والخدمات المطلوبة بناء على رغباته واحتياجاته الفعلية ، كما اهتمت المكتبات بفتح أبوابها في الأوقات الملائمة للمستفيد ووفرت الأمناء الأكفاء بهدف تعبئة الموارد والخدمات المتاحة واستغلالها أحسن استغلال لتحقيق الأهداف التي تتوخى تنفيذها .

الترويج :

إن من الأهداف الرئيسة التي تسعى إلى تحقيقها المكتبات استمرار التواصل بينها وبين أكبر عدد من المستفيدين من المؤسسات وأفراد المجتمع المحيط بها ... إلخ ، ويهدف هذا التواصل بصفة عامة إلى تزويد المستفيدين بالأخبار والمعلومات عن المكتبة وخدماتها وسياساتها ... إلخ . كما يهدف إلى الإقناع بالقيام بعمل معين ، أو التأثير على اتجاه وسلوك من يتم الاتصال بهم .

والترويج لكونه أحد عناصر المزيج التسويقي ، يشمل كل أنواع الاتصال بالجمهور من إعلان ودعاية ووسائل تنشيط المبيعات والبيع الشخصي .

الإعلان :

فالإعلان يعدّ العنصر الرئيسي من عناصر الترويج ويمكن تعريفه بأنه الوسيلة غير الشخصية لتقديم خدمات المكتبة مقابل أجر معين . ويهدف الإعلان إلى توصيل المعلومات إلى أعداد كبيرة من المستفيدين لغرض حثهم على التردد المستمر على المكتبة للإفادة من خدماتها أو من إعدادهم لتقبل الأفكار والخدمات المعلن عنها ، ويتم ذلك عن طريق استخدام وسائل الإعلان العامة التي تشمل الصحف ، والمجلات ، والتلفاز ، والإذاعة ، والإعلان البريدي والسينمائي ، والإعلان عن طريق وسائل النقل ولوحات العرض .

ومن المؤكد أن مهمة نشر خدمات المكتبات والتعريف بها لا تحقق غايتها المنشودة إلا بواسطة الدعاية للمكتبة ، فقد تكون هناك فئة من الناس تجهل وجودها أو لا تقتنع بجدوى خدماتها ، لذلك لابد من التعريف بالمكتبة وساعات بدء عملها ومدته ، وبيان محتوياتها من المصادر ، كما يجب ألا يكتفي بإذاعة أفكار عامة ، بل يتحتم علينا أن نبرهن أن للمكتبة وجوداً حقيقياً وأنها ضرورة لا غنى عنها للتثقيف والمعرفة ، إلى جانب توضيح الصلات العديدة والعميقة التي تربط بينها وبين القراء وأعمالهم وغير ذلك (٢٢) .

ولا يحظى النشاط الإعلاني - إلا في النادر - باهتمام ملحوظ من قبل مكتبات دول العالم الثالث ، وذلك لارتفاع التكاليف وتبني رأي قديم خاطئ يقول «بأن السلعة الجيدة تبيع نفسها بنفسها» ، وبرغم أن هذا الرأي قد ثبت بطلانه منذ سنوات عديدة ، إلا أنه لا يزال شائعاً في دول العالم الثالث .

العلاقات العامة :

تقوم العلاقات العامة بتسهيل عملية الاتصال بين المكتبات والجمهور كما أنها تعمل على شرح وتفسير موقف المكتبة من الجمهور ، وموقف الجمهور من المكتبة بهدف النجاح في كسب ثقة الجمهور وفهمه وتأييده . أي أن العلاقات العامة تعمل على إيجاد صلات ودية تقوم على أساس الفهم المتبادل .

لذلك فإن الوظيفة الأساسية للعلاقات العامة في المكتبات تركز أساساً حول تعريف وتقديم المجتمع للمكتبة والمكتبة للمجتمع (٢٣) .

ويؤدي تنشيط وتوثيق علاقات المكتبات بالأفراد والجماعات إلى زيادة الدعم المادي والمعنوي للمكتبة ، وزيادة إقبال الجمهور عليها والانتفاع بمجموعاتها والمحافظة على المكانة التي كسبتها المكتبة ، وكذلك المحافظة على المستفيد الذي كسبته المكتبة من قبل ، وأخيرا تمكن المكتبة من منافسة الوسائل الأخرى للتسلية أو لقضاء وقت الفراغ .

لذلك فإن التفاعل بين العاملين بالمكتبات مثلاً

وجمهور المستفيدين من خدماتها يجب أن يدعم بالأداء السليم والمعاملة المهذبة وحسن المظهر الخارجي والداخلي للمبنى وجودة الموقع، وصلاحية المجموعات وتميزها، وعرض أجزاء منها عرضاً جذاباً، هذه العوامل تقوم بدور واضح في كسب المستفيد والترحيب به وبالتالي إرضائه.

كما يجب أن يمتد تأثير العلاقات العامة ليشمل متخذي القرار السياسي وقادة المجتمع بهدف ربط المكتبة بمجتمعها والحصول على الدعم المعنوي والمادي اللازم لاستمرار ونمو وتقدم خدمات المكتبات (٢٤). كما أن الاتصال بقادة المجتمع يؤثر في تكوين رأي عام لدى جمهورهم. فمن النظريات المعروفة في علم النفس الاجتماعي أن اقتناع قادة المجتمع بفكرة معينة يؤدي بما لهم من قوة التأثير في مجتمعهم إلى تغيير اتجاهات الأفراد ودفعهم إلى الاقتناع بما لم يكونوا مقتنعين به من قبل.

تنشيط المبيعات SALES PROMOTION :

يؤدي تنشيط المبيعات التي يمكن للمكتبة استخدامها بالإضافة إلى الدعاية والإعلان، إلى زيادة طلب المستفيدين على المعلومات وخدماتها وزيادة معدل الإفادة من المكتبات. وتتضمن هذه الوسائل اللوحات واللافتات، والعينات، والقوائم، والكوبونات، والمعارض والمسابقات، والهدايا، وطريقة العرض باستخدام وسائل إيضاح ... إلخ.

البيع الشخصي PERSONAL SELING :

ويقصد به المقابلة والتحدث مع واحد أو أكثر من المستفيدين المحتملين بغرض إقناعه باستخدام المكتبة وما توفره من خدمات ومعلومات.

فالشخصية المميزة لأمين المكتبة، والمعرفة الواسعة والمعاملة الحسنة التي يلقاها المستفيد في صلاته اليومية مع المكتبة لها قيمتها الأساسية في تحسين علاقاتها بالجمهور. وهي تفوق أية وسيلة أخرى من وسائل الترويج إذ أن الاتصال الشخصي الشفوي مازال هو الأساس الذي يقرر نجاح أو فشل أية مؤسسة (٢٥).

كما أن الاهتمام الشخصي باحتياجات العملاء وتوفر روح المساعدة وروح الخدمة يعدّ بداية التنفيذ الفعلي لبرامج وأنشطة المكتبة لكسب العميل وإرضائه (٢٦).

نتائج الدراسة :

تناولت هذه الدراسة بالبحث والتحليل الحاجة الماسة للاستفادة من نظريات التسويق وتطبيقاتها في مجال المكتبات العامة، وكذلك التعرف على البرامج التسويقية وكيفية إنشائها والتخطيط لها في المكتبات ومراكز المعلومات. وقد أسفرت نتائج الدراسة عن التالي:

١ - أن التسويق هو المفتاح الأساسي في نجاح أو فشل برامج المكتبة، كما أنه يسهم بدور استراتيجي مهم في الاستخدام الأمثل للموارد، وفي استمرار دفع وإدارة عجلة المكتبات وفي تحقيق أهداف التنمية.

٢ - أن للتسويق قواعد وأساليب وتنظيمات علمية يجب اتباعها لكي تتمكن المكتبات من تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها.

٣ - أن المفهوم العلمي لمعنى التسويق بالمكتبات يكاد يكون مفقوداً ولا وجود له في كثير من دول العالم الثالث ومنها المملكة.

٤ - أن الإسهام في تشجيع المكتبات والتعريف بها لا يتم وفق الوسائل الفاعلة من قبل وسائل الإعلام المختلفة وأن النشاط الإعلامي في هذا المجال لا يزال محدوداً ويتم ارتجالياً لعدم وجود خطة منظمة لتحقيق هذا الهدف.

٥ - لا يوجد اهتمام من قبل المكتبات بوسائل ترويج الخدمات وأساليب تطويرها لخدمة الأهداف التسويقية للمكتبات وتقتصر وسائل ترويج الخدمات المتبعة على بعض الأحاديث الإذاعية والمقالات بالصحف المحلية.

٦ - تعاني العديد من المكتبات من عدم توافر العدد الملائم والجيد من منافذ التوزيع المختلفة لخدماتها إذ أن وجود المكتبات العامة يقتصر على المدن الرئيسة بل إن بعضها لا يوجد فيه إلا مكتبة

واحدة غير فعالة .

٧ – تعاني الكثير من المكتبات من بعض المشاكل والمعوقات والتي يمكن حصرها في التالي :

أ – حدة المنافسة بين المكتبات ووسائل الترفيه والتسلية وقضاء وقت الفراغ .

ب – عدم توافر بيانات دقيقة عن السوق تمكن المكتبات من التعرف على حجم السوق بصفة دورية أو خلال مدد معينة .

جـ – عدم اهتمام المستفيد بالقراءة وارتياد المكتبة.

د – عدم توافر المتخصصين القادرين على القيام بمهام الخدمات المطلوبة لجذب القراء .

وبناء على نتائج الدراسة ، فإن الباحث يوصي بما يلي :

– أن المكتبات في حاجة إلى أن تسعى بشكل جاد إلى إرضاء الفرد أولاً – وفق حاجاته ورغباته ومقدراته الخاصة . بمعنى إنتاج ما يمكن تسويقه ، وذلك من أجل تقديم خدمات ناجحة وفاعلة .

– أن تأخذ بالأساليب والمفاهيم العلمية لتسويق خدمات المكتبات بما يتلاءم مع ظروف وعادات المجتمع ، أي مجتمع .

– أن تعمل على إيجاد منافذ لتوزيع خدمات المكتبات إما عن طريق الوسائل التقنية الحديثة ، أو بالتوسع في فتح المكتبات وفروعها في أنحاء البلاد .

– أن تسهم أجهزة الإعلام المختلفة خاصة التلفزيون بتكثيف حملاتها الإعلامية بغرض إعلام المستفيد عن المستوى الجيد الذي وصلت إليه خدمات المكتبات ، إضافة إلى حثه على ارتياد المكتبة والإفادة من مصادرها حيث إن ازدهار مستوى المواطن يرتبط بازدهار المكتبات .

– على المكتبات الاهتمام بتنظيم حملاتها الإعلانية من وقت لآخر بغية جذب المستفيد لخدماتها على أن تتم تلك الحملات طبقاً لخطة علمية مدروسة واضحة الأهداف .

– العناية بدراسة غير المترددين على المكتبة لأنهم يمثلون الغالبية العظمى من السكان . لأن كسبهم مسألة صعبة حيث إن المنافسة بين المكتبة وبين الوسائل الأخرى للتسلية ولقضاء وقت الفراغ أقوى وأغنف منها في حالة غيرهم ممن يستعملون المكتبة مثلاً .

– توفير العدد الكافي والكفء من المتخصصين والواعين بأهمية تسويق خدمات المكتبات .

الهوامش والمراجع

١ – عبدالمجيد بوعزه : «استغلال علوم التسويق من قبل المكتبات العامة» ، المجلة العربية للعلوم ، مج٢١، ع ١ ، ١٩٩٠م ، ص ١٦ – ٢٤ .

٢ – Riahde King , The Merketing Approach Applied To Special Libraries in Industy : A review of the literature . **Science and Technology libraries** Vol. 6, Nos. 1/2 , Fall 1985 - 86 . P. 121 .

٣ – Andrea Dragon . "Marketing the library" **Wilson Library Buletin** , Vol 153, N. 7 , May, 1979, pp. 498 - 502 .

٤ – Joyce A Edinger. "Marketing library Service : Strategy for Survival " **College & Research libraries,** July . 1980 . pp. 328 - 331 .

٥ – Maria F. Purcell "The Marketing Challenge for Pubic Libraries in Ireland" **The Irich Library** , V. 6. N. 4 , 1990 pp. 109 - 120 .

٦ – P . Kotler , and S.J. Levy "Broadening the Concept of Marketing,"**Journal of Marketing** , 33, 1,1969.

٧ – حسن عبدالله أبو ركبة ، **إدارة التسويق** ، جدة ، دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٠هـ ، ص ٢٢ .

٨ – American Marketing Association, "AMA Board Approves New Marketing Definitions" , **Marketing News**, Vol. 19. No. 5, March 1, 1985, p. 1

٩ – Benedict A . Learburger . **Marketing the Library** New York: Knowledge Industry Publica-

tions,1982, p. 3 - 4 .

١٠ - Darlene E. Weingand. **Marketing for Libraries and Information Agencels** - New Jersey : Ablex Publishing Corp, 1984, p . 5 .

١١ - King, OP . Cit . p .

١٢ - Purcell, OP . Cit, P111.

١٣ - أحمد أنور عمر . **المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ** ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ ، ص ٢٦٤ .

١٤ - Barry Totterdell and Jean Bird . **The Effective Library Report of Hillington Project on Public Libraries Effectveness.** London, Library Association, 1976, p . 17 .

١٥ - G.P.D' ELIA. "The development and Testing of a Conceptual Model of Public Library Behavior "**The Library Quarterly, Oct**. 1980 . pp. 410 - 430 .

١٦ - P.Kotler and A . R . Andreasen . **Strategic Marketing for nonprofit organisations**. New Jersey : Prentice Hall , 1987 .

١٧ - T. Kelly and E . Killy **Books for the people : and Illustrated. History of the British Public Library** . London : Deutsch, 1977 .

١٨ - عبدالمجيد بوعزة ، مصدرسابق ، ص ٢٠ .

١٩ - المصدر نفسه ، ص ٢١ .

٢٠ - Darlene E . Weingand , Op . Cit, p. 14 .

٢١ - Ibid

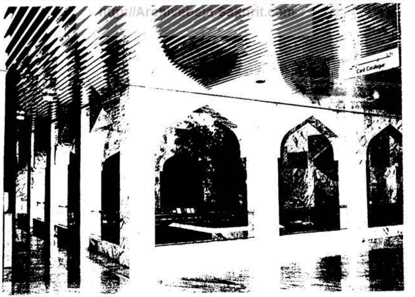
٢٢ - سماء تركي المحاسني . "استخدام الإذاعة المرئية (التلفزيون) والإذاعة المسموعة (الراديو) في دعم الخدمة المكتبية والدعوة إلى المكتبة : هل تصبح ضرورة في هذا العصر " ، عالم المعلومات ، ص ٦ ، مج١ ، ع ١ ، ربيع ١٩٨٣ ، ص ١٠٨ .

٢٣ - محمد محمد الهادي . **الإدارة العلمية للمكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات** ، الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٢ ، ص ١٩١ .

٢٤ - أحمد أنور عمر ، مصدرسابق ، ص ٣١٢ .

٢٥ - المصدر نفسه ، ص : ٣٤٧ - ٣٤٨ .

٢٦ - المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .



مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض

طرق البحث في علم المعلومات[1]

ترجمة

محمود محمود عفيفي

كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس - مسقط

تندرج أساليب تصميم وصناعة القرار التي يستخدمها أخصائيو المعلومات في عملهم ما بين تقصي دراسة الحالة القائمة على الملاحظة التطبيقية أو غير التطبيقية إلى بحث مفصل للغاية على أساس مقاييس مقبولة للدراسة .

وسنعرض فيما يلي أهم هذه الأساليب والطرق :

الطرق النظرية والتطبيقية

من الملاحظ وجود فروق مهمة بين تلك الدراسات التي تحاول فهم الظاهرة أو التجربة قيد البحث وتلك الدراسات التي تحاول تحديد المشكلات التي ظهرت في المجال وتتطلب حلاً . وقد استخدمت كلمتي نظرية Theoritical وتطبيقية Applied في وصف هذه الفروق التي هي بالأحرى وضعية ؛ لأن معظم المجالات تشتمل عادة على الحسابات النظرية والتطبيقية .

ويوجد سلسلة من الوظائف والأدوار والتعريفات التي شاعت عن طريق "أخصائيي المعلومات" . وغالباً ما تكون مناهج البحث المطبقة في هذه السلسلة واسعة ومتنوعة ، وقد استقيت الأساليب القديمة المستخدمة في البحث والاستقصاء من أفكار علماء مثل : بطليموس Ptolemy وأفلاطون Plato وأرسطو Aristole وبيكون Bacon ونيوتن Newton وعلماء أكثر معاصرة مثل أينشتين Einstein . ومن هنا نجد أن أكثر المشكلات النظرية ترجع بأصولها وتكوينها إلى ناتج المواجهات اليومية للعلماء والممارسين بالإضافة إلى الفلاسفة .

ويتطلب التعامل مع المشكلات النظرية والتطبيقية قدرات واسعة من المتعاملين من أجل حلها ووضع القرارات المناسبة لها . وقد أسهم كتاب تيرنج Turing (1950 , في نظرية الآلات ذاتية الحركة Automatic Theory في تقديم الأساس لتطوير تقنيات معالجة المعلومات التي بدورها وجهت انتباه علماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء آخرين للمشكلات العلمية في التعليم والإدارة وصنع القرار وحل المشكلات .

إن مجمل الأفكار التي نسعى إلى تحقيقها تهدف إلى فحص الطرق المستخدمة من قبل أخصائيي المعلومات التي تنصب على جمع المعلومات وتقويم الفروض باستعمال النماذج Models ، ونماذج المحاكاة Simulations ، والتدريبات Exercises ، واللعبات Games.

طرق البحث الكلاسيكية

لقد سن الفلاسفة الأوائل مثل أفلاطون وأرسطو تقليداً يرتكز على مبدأ الشك عند التعرض لقضية من القضايا ، وبالتالي فقد لجأوا إلى المنطق والتفكير القياسي لمعالجتها Deductive ، والملاحظة Observation وعادة ما تكون القضية عبارة إخبارية Declarative تتعلق بالملاحظة قيد البحث . وبالتالي فإن المنطق والملاحظة يُمكنان الإنسان من تقرير عدد من البدهيات Aximos ، وعادة ما يتم قبول القضايا

بعدها مسلمات لا تحتاج إلى براهين . ومع ذلك يتم استخدام طريقة البحث الاستقرائي Inductive بالملاحظات التي تتولد عنها الفروض Hypothesis أو التخمين Guess . ثم يُختبر الفرض عن طريق التجربة . ويكون تكرار التجربة أساساً لنفي أو إثبات الفرض . وفي المنهج الاستقرائي تقوم المعلومات بإثبات أو نفي الفروض .

وفي مناهج البحث الكلاسيكية ، كما حددها جون استيوارت ميل John Stuart Mill في عبارته المشهورة المتعلقة باختبار الفروض ، " افترض أن السلوك الذي يتأكد به السبب والنتيجة Cause and Effect يمكن إثباتهما بملاحظات أو ظواهر معينة " ؛ وتعد مفاهيم " مل " Mill أساسية لمناهج البحث التي يستخدمها علماء اليوم . ويعرف الأسلوب الذي يستخدم للقيام بالاستقصاء أو الدراسة بمنهج البحث العلمي Scientific Method . ويعدُ هذا المنهج اختزالياً Reductionistic ؛ لأنه يؤكد الحاجة لعزل وتعريف متغيرات Variables معينة تتعلق بالظاهرة قيد البحث . ويستخدم الافتراض في هذا المنهج للتحقق من صدق Assumiption ظاهرة معينة يمكن أن تتأثر بعوامل عديدة . وطبقاً للطريقة العلمية - فإنه من الضروري استقصاء عدد محددمن المتغيرات في المرة الواحدة ودراستها تحت ظروف يمكن تكرارها بواسطة باحثين آخرين .

وهناك جانب مهم من الطريقة العلمية يتمثل في وضع الفرض Hypothesis للظاهرة قيد البحث . والفرض عبارة عن بيان يقترح جانباً أو حالة (عاملاً) من الظاهرة التي نهتم بها ، ولابد للفرض أن يوضح المتغيرات المستقلة Independent ، والمتغيرات التابعة Dependent ، والمتغيرات المقننة Control . ويعد المثال الذي سيرد فيما بعد تطبيقاً لهذه الطريقة في مجال اهتمام علماء المعلومات .

وهذا المثال الذي أثار فضول علماء النفس والمربين وأولياء الأمور وعلماء المعلومات يختص باستخدام الحاسب الإلكتروني في عمر Ago محددة في حياة الفرد حيث تدرس ظاهرة اختيار الأطفال في سني الدراسة التخاطب مع الحاسب من بين المناشط الأخرى المتاحة لهم ؟ ؛ وهل العمر أو الجنس يؤثر في الاختيار ؟ ؛ ويمكن للأسئلة أن تصاغ في شكل فرض يقترح فيه أن الجنس والعمر هما من المتغيرات المهمة في اختيار نشاط الطفل وبصفة خاصة الحاسب . فالجنس والعمر هنا هما المتغيران المستقلان . أما اختيار النشاط فهو المتغير التابع أو الناتج . وقد درس " بسون " Becson " وويليمز " Williams العمر باستخدام مجموعتين (أقل من ٥ سنوات وفوق ٥ سنوات) ، وكان مثال المتغير التابع / الناتج اختيار الطفل من بين كثير من الخيارات المختلفة مثل المكعبات Blocks والعربات التي تسير على إطارات Wheeled Yechicles بيت اللعب Play House الحاسب. فإن شك الباحثون في الحالة الاقتصادية للأسرة فسيكون المتغير المستقبل مهماً ، فإذا لم يرغبوا في تحديد المؤثرات ، فإنهم سوف يبقون على هذا المتغير مستمراً . لكون الأطفال يأتون من أسر تمثل طبقة اقتصادية معينة . والطبقة الاقتصادية سوف تكون تحت تحكم الاستقصاء أو البحث وهوالمقصد من المتغير المقنن : Control Variable . ولقد وجد الباحثون بالصدفة أنه لا فرق بين جنس الأطفال قبل سن الدراسة سواء أكانوا ذكوراً أم أناثاً في اختيار نشاط الحاسب الإلكتروني كما أن العمر قبل سن المدرسة يؤثر في اختيار الحاسب كخيار نشاطي مفضل .

جمع المعلومات

تعدُ طرق جمع المعلومات وسيلة مهمة للإنتاج الفكري في المجال ، وذلك بسبب طبيعة المشكلات التي تصادف أخصائيي المعلومات ، والطرق التي نقصدها تتمثل في : المسوحات Surveys ، والاستبانات Ques-tionnaires واستطلاعات الرأي Opinion Polls ، والتفكير الإبداعي Brainstarming ، وتاريخ الحالة Case History .

المسوحات والاستبانات والمقابلات الشخصية واستطلاعات الرأي

جمعت هذه الطرق الأربع مع بعضها البعض ؛ لأن

المسوحات غالباً ما تستخدم أساليب الاستبانات والمقابلات والاقتراع . وقد طبقت هذه المسوحات على عدد من المسائل ذات الأهمية لدى أخصائيي المعلومات.

وقد استخدمت على سبيل المثال في دراسة الدوريات العلمية ومواد مكتبية أخرى مثل التقارير ، والمفردات Monographs ، وفي زيادة أعداد المطبوعات، وعادات المستفيدين في الحصول على المعلومات ، وأنماط مختلفة من استخدام المعلومات من قبل مديري المؤسسات والشركات . وفي هذه الدراسات ، تعد الاستبانة هي الأداة الأكثر شيوعاً ، التي هي عبارة عن قائمة بمفردات آراء واتجاهات المجيبين Respondents فيما يتعلق بأمور أو متغيرات مهمة في مجال اهتمام الباحث .

أما الاقتراع Polls فيستخدم غالباً لاستخلاص الآراء والمعتقدات ، وهذا شائع جداً أثناء الأحداث السياسية إذ يستخدم الاقتراع لتحديد احتمال فوز زعيم ما . وغالباً ما يقوم الاقتراع على أساس فرد واحد إلى فرد واحد ، بمعنى أن يكون الاستعلام عن طريق التلفون ، وخطاب يرسل إلى أفراد كثيرين ، أو زيارة منزل أو مكتب بواسطة القائم باستطلاع آراء الناخبين . والافتراض هنا أن استطلاع رأي الأفراد حينما يتم جمعه سوف يعكس آراء واتجاهات الجماعة أو جزء من السكان .

وتعدُّ المقابلات الشخصية Interviews والاستبانات أدوات بحث قوية . فالمعلومات عن سلوك الفرد أحياناً لا يمكن الحصول عليها إلا بواسطة هذه الأدوات . فعلى سبيل المثال لا يمكن الاستدلال على المواقف والاتجاهات ونمط الرأي ، وهنا يأتي دور المقابلات للحصول على نتائج واضحة عن طريق المقابلات . وخلال عملية المقابلة يتحتم على الشخص الذي يقوم بها أن يشرح الدوافع التي يرمي إلى تحقيقها ويبين الأسس التي تتم بموجبها ، وكيف تم اختيار المجيب ومن الذي يجري هذا البحث ؟ ، وبالقدر نفسه من الأهمية يجب وضع كلمات الأسئلة الموجهة إلى الأشخاص الذين يجري معهم المقابلة بعناية ودقة . فبعض الاختبارات يجري إعدادها للحث على الإجابة فقط دون تغيير الأسئلة ، وأخيراً يجب تسجيل الإجابة من الأفضل – خلال المقابلة ، كما يمكن للشخص الذي يجري المقابلة استخدام أنواع عديدة من وسائل التسجيل بتدوين مذكرات تفصيلية .

أخذ العينة Sampling

يعد اختيار العينة Sampling أساساً في كل طرق البحث التي تلجأ إلى مبدأ المسح ؛ والعينة تعني ببساطة تحديد خصائص المجتمع المطلوب دراسته أو بحثه . وتشمل عدداً من الأفراد لدراستهم بالإضافة إلى إظهار خصائصهم لكي يمكن تقديم النتائج الصحيحة التي يعتمد عليها .

وتنعكس مشكلات العينة في أن بناءها لا يتوقف فيه على تضمين عينة ممثلة للمستفيدين . إذ لابد أيضاً التأكد من أن حالات البحث ، وأنواع المعلومات ، وأنماط استخدام المعلومات ، وقنوات الاتصال ، وأنواع سلوك المستفيد تكون ممثلة بكفاية في بنائها (Menzel, 1964) .

وقد اشتملت العينة في دراسة عن القوى العاملة بجامعة بتسبرج عام ١٩٨١م على مجتمع البحث مشتملة على المجيبين من قطاعات الصناعة والحكومة والجامعات ، ووزعت عينة المجيبين على فئات لتقديم نتائج ممثلة لمجتمع الأفراد في تلك المجموعة .

التناقش والبناء Critical Disclosure

يستخدم أخصائيو المعلومات مثلهم مثل المتخصصين الآخرين الرأي والتعليق بين أنفسهم فردياً أو جماعياً كجزء من منهجهم لفهم الأحداث والتجارب . ويسمح التعليق أو الحوار بينهم على تبادل إيجابي للأفكار أثناء تحققهم من منطقية هذه الأفكار للدفاع عن أنفسهم ، وهذا الحوار بلا أدنى شك يؤدي إلى ظهور العوامل التي يمكن أن تكون مهمة في فهم المشكلة .

وبصفة عامة فإن الحوار البناء له علاقة ببعض المقاييس Standards التي يمكن الحكم من خلالها على الحادث أو الخبرة ، وتعد الحوارات السياسية مثالاً على الحوار البناء ؛ لأنها تعدّ منبراً Forum لعرض أفكار الأشخاص عن السياسة وقضايا أخرى يتم مناقشتها.

مقابل الأفكار والمواقف المضادة . ويعدّ المقياس في ذلك جزءاً من الناتج بمعنى أنه مهما كان نوع الحوارات أو الأفكار المعروفة فإنه يجب أن ينطبق عليها معيار Cri-terion القيمة الصحيحة . مما يؤدي إلى شعور بأن المواقف التي اتخذت اعتمد فيها على الإحساس الكلي بالحقيقة .

التفكير الإبداعي Brainstorming

يمكن تعريف التفكير الإبداعي بأنه تجربة تنتج عنها أفكار ومفاهيم جديدة من خلال تبادل الأفكار بين الباحثين ، ومفهوم ضمناً أن ناتج التجربة سوف يلقي الضوء على صميم المشكلات أو القضايا المطروحة . ومن سوء الحظ فإننا لا نجد غير القليل من الكتابات في الإنتاج الفكري عن استخدام وكفاية هذا الأسلوب . ويعتمد المؤيدون لهذا الأسلوب على الفكرة التي ترى أنه إذا فشل كل شيء آخر في حل المشكلة ، فإن جلسة التفكير الإبداعي الجماعي التلقائي يمكن أن تساعد في الوصول إلى الحل .

تاريخ الحالة Case History

يعدّ تاريخ الحالة سجلاً مفصلاً للعمليات والنتائج المرتبطة بظاهرة معينة . وكثير من الحالات المشهورة ظهرت بواسطة العلوم الطبيعية في كتابات تسبق الاختراعات والاكتشافات الجديدة ، بالإضافة إلى جيل من النظريات الجديدة . وقد استخدمت اليابان على سبيل المثال تاريخ الحالة لدراسة المشكلات الطبية الناتجة عن تفجير القنبلة الذرية .

كما أن الكتابة عن الأمراض التي جلبها الجنود الأمريكيون على أنفسهم نتيجة لما يسمى بـ Agent Drange (٢) تعد مثالاً آخر . وتعد دراسات الحالة مصدراً جيداً لتطوير الفروض التي يمكن اختبارها بواسطة التجريب .

النماذج ونماذج المحاكاة والتدريبات :

وهو أسلوب آخر يتبعه أخصائيو المعلومات في صنع القرارات في المواقف المعقدة عن طريق دراسة الموقف بالتقريب والتحقق من النتائج من أجل تصور النظام بصورة شاملة . غالباً ما يتم بناء نموذج Model أو تطوير نموذج المحاكاة Simalation بطريقة أقل تكلفة وأقل مخاطرة بكثير من بناء نظام معلومات قائم على فروض لا يمكن اختبارها .

صنع النموذج Modeling

وتعني هذه الطريقة ممارسة تؤدي إلى إيجاد تمثيل رياضي Mathematical Represpntaion للواقع والافتراضات التالية عن النماذج ، هي :

- كل التفكير قائم أساساً على تركيبات ومفاهيم الأفكار مثل النماذج Models .
- أي نموذج للفكر الإنساني يستخدم اللاصقات Labels أو النظريات السببية Causal theories هو شكل من صنع النماذج (Meadows , 1984) .
- النموذج يمكن أن يكون استقرائياً أو استدلالياً / قياسياً :

* يمكن أن يكون النموذج استقرائياً Inductive وذلك يعني التنبؤ بنتائج يمكن أن تأتي من النظر في الأنظمة القائمة ، حيث لم يتمكن من الحصول عليها عند الملاحظة .
* عندما يكون النموذج استدلالياً / قياسياً Deductive فإنه يمكن إظهار علاقات معروفة وخصائص لبعض الأنظمة القائمة أو مجموعة منها (Miller , 1976) .

والنموذج هو تقريب فكري مجرد لنظام مادي أو واقعي . ولا يمكن للنموذج أن يمدنا بإجابات مطلقة للأسئلة ؛ لأنه تمثيل مثالي للشيء الذي نريد فهمه . ومن المستحيل غالباً أن يتضمن النموذج كل المتغيرات التي تمثل ظاهرة معقدة بأكملها . فعلى سبيل المثال نجد أن صنع نموذج لنظام قائم قريب من المستحيل بسبب المتغيرات التي تفوق الحصر التي تؤثر على وجوده . وحتى إذا كنا قد استطعنا أن نعرف هذه المتغيرات ، فإن حجم المعلومات لتطبيق النموذج على نموذج المحاكاة سيكون مستحيلاً من ناحية كل من الوقت والتكلفة .

وكلما ازدادت المعرفة تصبح النماذج أكثر تعقيداً.

وصنع مثل هذه النماذج عالية التعقيد تتطلب نفقات كبيرة من الوقت والموارد . ولكن استخدام مثل هذه النماذج في عملية صنع القرار يمكن تبريرها فقط حينما تكون القوانين التي تدرس بواسطتها الظاهرة قيد البحث معروفة جيداً ، خاصة عندما يوجد لها الوصف الرياضي المتعرف عليه والذي يتم اختباره (Gelovani , 1984) .

وقد فرق باحثون آخرون بين نماذج النظام System Models وبين طريقة النموذج Process Models. فنموذج النظام يصف بنية النظام بواسطة المكونات المتصلة بعضها ببعض . فلدراسة أثر القنوات أو السدود يشيد مهندسو البيئة غالباً نماذج نظم مركبة لأنظمة النهر ، أما طريقة النموذج فتصف المتغيرات التي تحدث بين أجزاء النظام . ومن أمثلة طريقة النظام النماذج الاقتصادية التي تحاول التنبؤ بأسعار النفط في المستقبل على أساس المدخلات المثالية ، وفي بعض الأحيان يشمل نموذجاً معيناً كل المكونات التركيبية وطريقة الوظائف Process Functions . بالإضافة إلى أن هذا النموذج يمكن أن يؤدي إلى تكامل أطر فكرية عديدة .

وتخدم التعبيرات الرياضية التي تصف العلاقات الخاصة بين المتغيرات مثل النماذج الفكرية Conceptual Models وكمثال على ذلك نجد أن العلاقة بين الأبعاد المادية للمثلث الصحيح يمكن أن يعبر عنها بواسطة معادلة رياضية مشهورة مثل : $C^2 = a^2 + b^2$

وتختلف التعبيرات الرياضية في تعقيدها فيما يتعلق بعدد الطرق والتركيبات المراد وصفها .

نموذج المحاكاة Simulation

يحاول نموذج المحاكاة أن يقدم للمجتمع جزءاً من الحقيقة . ويدعي البعض أنه ليس هناك فرق بين نموذج المحاكاة " وصنع النموذج " فبعض النتائج يمكن استخراجها ، من الإنتاج الفكري إذ يتبين أنه برغم ارتباط صنع القرار بنموذج المحاكاة ، فإنهما يؤديان وظائف مختلفة ، ويمكن أن تطبق عليهما أسس مختلفة .

وتعتمد نماذج المحاكاة Simulations على النماذج Models ، والتجريدات الرياضية Mathematical Abstractions لنواحي معينة من الحقيقة . وتتراوح هذه النماذج بين مفاهيم عامة إلى تعبيرات عددية للواقع . وإذا كان النموذج مجموعة من التجريدات الساكنة التي تمدنا بمدخلات منفصلة كلٌ على حدة فإن نماذج المحاكاة هي نماذج متحركة عبر المكان Space، والزمان Time يحصل من نتائجها على سلسلة من المدخلات . وينظر إلى نماذج المحاكاة القائمة على مثل هذه النماذج على أنها وسيلة لاختبار النموذج ؛ فضلاً عن النموذج نفسه وفي مقدور الإنسان أن يبني النماذج إما من خلال تحليل خيالي Fancy أو من خلال تحليل مادي Concrete . ولعل من أكثر الأمثلة دلالة على فعالية استخدام نماذج المحاكاة ما أقدم عليه الأخوان رايت فقد ذهب بهم الخيال إلى إمكانية الطيران ثم أدركا في مطار " كوك فيلد " Cookfield بمدينة ديتون Dayton بولاية أوهايو الأمريكية ماذا يمكن أن يكون الهدف الحقيقي ، فصنعا نسخة مادية له أو ما يمكن أن نطلق عليه النموذج الأصلي (الطراز المبدئي) Prototype ، ثم قاما بعد ذلك تحت ظروف حالات المطار العادية بعمل هدف صناعي يدعى الآلة الطائرة Flying Machine وصنعا موقفا شبيها لحالات الطيران وبعد تقديم نموذج المحاكاة وكثير من التغييرات للنموذج الأول نجحا في تنفيذ الطائرة . كما أن النموذج الثابت للحقائق المادية من أجل طيران الهليكوبتر يخدم بوصفه أساساً لتفاعل الطيران المشابه Interactive Flight Simulator .

وقد قدم س . ف . هيرفان (C.F.Hermann, 1967) في عام ١٩٦٧م خلاصة وافية للمعايير التي يمكن استعمالها لتقويم نماذج المحاكاة ، وهي كما يأتي :

١ - تكرار النتائج Repeatability of Outcomes : وهي تؤدي إلى تنفيذ موقف اصطناعي مطابقاً تماماً للنتائج المترتبة عن تنفيذات أخرى لمواقف اصطناعية تحت الظروف نفسها .

٢ - فاعلية الواقعية Face Validity : هل الموقف الاصطناعي موثوق به ، ومعقول وممكن تصديقه ؟

هل المدخلات تقريباً معقولة في تشبيهها بالأحداث العالمية الحقيقية ؟

٣ - فاعلية التعبير Variable Validity : يجب أن تكون الحالات أو العمليات التي نحاول دراستها قريبة بقدر المستطاع من تلك التي في الحياة الحقيقية أي من العالم الحقيقي .

وقد يؤدي التضمين Inclusion أو الإقصاء Exclusion للخصائص الخاصة التي تبعد عن واقع الموقف إلى تقليص فاعلية الموقف الاصطناعي . وهذا النوع من الفاعلية يمكن أن يكون صعب التحقيق ؛ لأن مواقف الحياة الواقعية غالباً ما تمثل متغيرات مركبة ومعقدة ويكون من الصعب تمثيلها .

٤ - مصداقية الحدث Event Credibility : ويقصد به تشابه الموقف الاصطناعي لموقف الحياة الواقعية. ولابد هنا من التحقق من مدى التشابه قبل الإنجاز الفعلي للموقف الاصطناعي .

٥ - فاعلية الفروض Hypothesis Validity : وفي هذا المعيار يجب أن يكون نموذج المحاكاة موجهاً بطريقة موضوعية على أساس الفروض التي تتعلق بالمتغيرات قيد الدراسة ، والتي يطبق عليها طريقة نموذج المحاكاة . وبمعنى آخر يجب أن تكون الفروض محددة بالنسبة لخصائص النظام . وإذا كانت الفروض التي توجه نموذج المحاكاة غير محددة فإن النتائج تكون أقل فاعلية بسبب عدم قدرة نموذج المحاكاة على توضيح العلاقة بين خصائص المشكلة والنتائج .

و مراجعات الفاعلية هذه يمكن أن تعضدها جوانب أخرى من نموذج المحاكاة التي استخدمها العلماء بوصفها جزءاً من عملهم الاستقصائي . وعلى سبيل المثال فإن طريقة تحليل المعلومات المشتقة من نموذج المحاكاة تعد أساسية بصفة خاصة . وكما هو في التجربة Experimentation . فإنه من المرغوب فيه تحديد التحليل قبل الاضطلاع بعمل نموذج المحاكاة . وتوجد أسباب عديدة تدفع إلى تبني هذه التوصية وهي :

أولاً : أن حجم المعلومات Amount of Data المطلوبة لنوع من التحليل . ربما يكون مكلفاً من ناحية الوقت والنفقات لدعم فوائد نموذج المحاكاة .

ثانياً : أن نماذج المحاكاة تكون ، بصفة خاصة ، عرضة للخلط الناتج عن المتغير مثل : ممارسة تعريف المتغير في عدد من الطرق ثم اختيار التعريف الأحسن ملائمة للمعلومات التي تم الحصول عليها . والتحليل المسبق Preanalysis لهذه القضية يمكن أن يزيد من فاعلية نموذج المحاكاة . وأخيراً فإن كتابة الإنتاج الفكري أولاً بأول تعد أساسية لفاعلية النموذج . ويساعد استخدام الحاسب الإلكتروني في عمل نماذج المحاكاة على تقليص المشكلة .

وبالنسبة لنماذج المحاكاة التي تدرس تبادل العمل الإنساني والأداء الفردي في سياق النظام ، فإن الدافع Motovation يكون متغيراً كثير التقلب ، ويجب تعليله ، وإذا عرف شخص أن الموقف حقيقي فإنه يميل للإجابة بطريقة مختلفة عن ذلك الشخص الذي يعرف بأن الموقف مصطنع ، وتكون النتائج المترتبة على ذلك العمل مختلفة من حيث التأثير النفسي .

التدريب Exercising

استُخدم التدريب أولاً بواسطة العلماء بمؤسسة MITRE بمعمل تصميم النظم بمدينة " ليكسنتون " بولاية " ماسوتشوست " بأمريكا في عام ١٩٦١م ، وسيلة لتحليل ناتج نماذج المحاكاة التي أجريت في ذلك الوقت لتفسير سلوك ضباط الجيش الأمريكي في أماكن قيادة مراقبة الاتصالات . وكما أشير إليه من قبل فإن الموظفين الخاضعين للبحث إذا أدركوا أنهم سيجعلون نماذج محاكاة ، فإن سلوكهم سوف يتأثر بالعامل Factor ، وعلى العكس من ذلك فإن الدافع Mot-ovational Nariable قد يحول التوجيه من نموذج المحاكاة إلى التدريب . وتحاول التدريبات أن تنفي الآثار النفسية على العمل المرتبط بنموذج المحاكاة بتوجيه عمل المشتركين فردياً وكلياً ويتطلب ذلك منهم أن يتمايزوا فيما يتعلق بالمعيار سابق التحديد. وتضطلع مصانع الطاقة النووية غالباً بوضع نماذج

المحاكاة لتحديد إجابة الأفراد على بعض الأمور الطارئة التي يمكن أن تحدث في بيئة معينة . ومثل هذه المواقف هي في الواقع تدريبات . وفي حالة هذه الطوارئ المعينة (نماذج المحاكاة السابقة سواء كانت إدراكية أو رياضية) يعمد إلى إنشاء قواعد وإجابات محددة من قبل Predetermined الغرض منها هو الوصول إلى نقطة الاستعداد في حالة الطوارئ غير المتوقعة مثل انهيار المصنع . لذا كانت تجارب الحريق Fire Drills في المدارس الحكومية الأمريكية تعد مثالاً مألوفاً للتدريبات Exercises . وخلاصة القول ، فإن مثل هذه التجارب غالباً ما تقع تحت مقرر تدريبي Rubic Training وهو مصطلح مرادف لمصطلحات التدريب الأخرى .

التلاعب Gaming

التلاعب هو شكل من نماذج المحاكاة الذي به تمثل العناصر المعارضة للصراع . وبصفة عامة ، فإن اللعبة Game تقوم على أساس النموذج Model حيث تمثل المتغيرات وظائف وأحداث بيئية مناسبة .

وكثيراً ما تلزم نماذج المحاكاة لمواقف من الحياة الفعلية الأفراد إلى صنع القرارات التي يشار إليها على أنها لعبات Games . وتنتج السيناريوهات عادة بواسطة الحاسبات الإلكترونية عن طريق أفراد يتبادلون العمل فيما بينهم ويستخدمون الحاسب أحياناً إلى الحاسبات ، ولقد طورت مؤسسة راند Rand Corporation في عام ١٩٥٤م نوعاً من التدريب السياسي الحربي الذي يقع في هذه الدائرة ، وهذا التدريب يعد نوعاً من ألعاب الحرب War Game حيث يكون المشاركون فيها اختصاصيون (سياسيون أو حربيون) وتسمح البنية باختيار خيارات السياسة الأجنبية عن طريق المعلومات المرتدة Feedback في شكل نماذج محاكاة للنتائج المترتبة على القرارات. ولقد ظهر على التلفزيون الأمريكي سيناريو من هذا النوع بعنوان : تدريب في إدارة الدفاع : An Exercise in Defense Management في عام ١٩٨٤م على قناة C B S . إذ ظهر الأشخاص السياسيون الحقيقيون على الشاشة مع ضابط الجيش وطلب منهم الإجابة عن مواقف افتراضية معينة يمكن عن طريقها تحديد المشكلات أو الخطط واقتراح الحلول.

وتعد نظرية اللعبة Game Theory أساساً للتلاعب ، ويستخدم فيها المنطق الرياضي Mathematical Logic الذي يطبق لتحديد الاحتمالات العديدة عن فوز متكرر أو هزائم قليلة في المباريات ، وكذلك في الشركات . واختيار الاستراتيجية التي تمليها الاحتمالات الرياضية Mathematical (Mandel, 19) Possibility واعتمادها في المعادلات الرياضية ، وتتم النظرية بتطوير وسائل كمية Quantitative لفهم تبادل الأعمال بين الأفراد والجماعات تحت أنواع معينة لمواقف تسجيلية Scripted . ويمكن تطبيق مفهوم نظرية اللعبة على الاقتصاديات وخاصة المرافق ، وقيمة الاختيار الخاص وأثره على الفرد والجماعة . ويمكن إنشاء معادلات رياضية لتمثيل نموذج المتغير المكاني Situational Variable قيد البحث .

الطرق الإحصائية

عندما يتم جمع المعلومات أو البيانات يجب على أخصائي المعلومات تحديد أهميتها . وهناك العديد من الطرق الإحصائية التي يمكن تطبيقها على تقويم المعلومات . ولا يتسع مجال هذه الدراسة في تقديم حصر شامل لهذه الأساليب ، ومسح كل الطرق المتاحة. لذلك يجب على القارئ استشارة الإنتاج الفكري عن الطريقة الإحصائية Statistical Method التي تمكنه من الحصول على معلومات عن مقاييس النزعة المركزية Indicators of Central Tendency ، وتحليل الانحدار Regression Analysis ، والعلاقات الارتباطية Relationship and Correlation ، والنماذج الخطية Linedr Models ، وتحليل المضمون Content Analysis ، وقياس العلاقات الاجتماعية Sociometry .

العلاقات المتداخلة طريقة لحل المشكلات

وتمثل العلاقات المتداخلة Interdisciplinarity طريقة لجمع عدد من الأنظمة مع بعضها البعض ، وتوحيد

إسهاماتها في مناقشة مشكلة معينة ، ويعد التفكير المتداخل مسألة ضرورية للمشاركة في علم المعلومات الذي يفرض نفسه عند مواجهة حقائق مشكلات لا يمكن حفظها وترتيبها طبقاً للأنظمة الأكاديمية ، ومن الملاحظ أنه يوجد جزء كبير من التداخل Overlap بين مجالات الدراسة الممثلة في مشكلة علم المعلومات . وكل مجال يحتاج إلى نتائج يضطلع بها الآخرون لمراجعة فاعلية تعميماته Generalizations ، ونظرياته Theories الخاصة . والفاعلية Validity في هذا السياق هي قدرة القواعد النظرية على إيجاد توقعات صحيحة لكي تترجم إلى وسائل لضبط الظاهرة قيد البحث . لذلك فإن أحسن الطرق المتاحة حالياً لمراجعة فاعلية التعميمات والنظريات في العلم هي تقويمها مقابل النتائج التي جمعت على أساس المشكلات المماثلة أو المتعلقة بها بواسطة المجالات العلمية . وهذا التقويم يجب أن يتم ، بالرغم من ذلك قبل محاولة التطبيق .

والمشكلة بالنسبة لعلم المعلومات هي تحديد ما يلزم أخذه من الأنظمة الأخرى فيما يتعلق بالمرئيات Perspectives من أجل حل القضايا . ولا شك أنه من خلال أسلوب العلاقات المتداخلة يستطيع علم المعلومات البدء في فهم الطرق التي يشارك بها مع المجالات الأخرى في تطوير بنيته النظرية Theoritical Structure الخاصة .

وختاماً فإن التبديل Interchange يشخص بعمق المتغيرات التي يجب تضمينها في تصميم البحث إضافة إلى تقديم أسس لوضع الفروض المنتجة Pro- ductive والقابلة للاختبار Tested .

REFERENCES

Beeson, Betty Spillers, and R. Ann Williams. "The Effect of Gender and Age on Preschool Children's Coice of the Computer as a Child. Selected Activity. " **JASIS** 36 (1985) : 339 - 44 .

BRITAIN, J. M. " Information Needs and Application of the Results of User Studies. " In **Perspectives In Information Science, edited** by A . Debons and W. Cameron. Leyden : Noordhoff, 1975 . 431 .

Festinger, Leon, and David Katz, eds. **Research Methods in the Behavioml Sciences**. New York : Holt, Rinehart, Winston, 1953, 331 , 354 - 58 .

Gelovani, Viktor A. "An Interactive Modeling System as a Tool for Analyzing Complex Socio - Economic Problems. " In **Models of Reality**. edited by Jacques Richardson. Mt. Airy . Md : Lomond Books , 1984 , 79 .

Hermann, C. F. "Validation Problems in Games and Simulations with Special Reference to Models of International Politics. " **Behavior Science** 12 (1967) : 219 .

Lewin, Kurt. " Formalization and Progress in Psychology."In **Field Theory In Social Science: Selected Theoretical Papers,** edited by D. Cartwright. New York : Harper , 1951 .

Mandel, Siegfried. **Dictionaryof Science**. New York: Dell, 1977, 149, 303 .

Meadows, Dennis. "On Modeling, Limits and Understanding." In **Models of Reality**. edited by Jacques Richardson . Mt Airy, Md: Hammond Books, 1984 .

Manzel, H. " The Information Needs of Current Scientific Research." **Library Quartely** 34,no .1 (1964) : 4 - 19 .

Miller, J. G., ed. Living Systems. New York : McGraw-Hill, 1978 .

Richardson, Jacques, ed. "A Primer of Model Systems." In **Models of Reality**, edited by Jacques Richardson. Mt . Airy, Md: Hammond Books, 1984.

Turing, Alan M. "Computing Machinery and Intelligence." **Mind** 59 (October 1950): 433 - 60.

الهوامش

(١) هذه ترجمة للفصل الثالث بعنوان : " Methods in Information Sci . **In : Information Science : an Integrated view,** by A . Debons .- Boston, Mass. : G.K. Hall , 1988 .

(٢) Agent Drange : نوع من الحرب الكيماوية التي كانت تلقى على المسطحات الخضراء للقضاء عليها أثناء حرب فيتنام ، وهذا النوع من الكيماويات هي نفسها سبب إصابة الجنود الأمريكان بالسرطان . (تعقيب المترجم) .

المراجعات

بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته لسعيد عاشور

أسماء أبو بكر محمد
القاهرة

* عاشور ، سعيد عبدالفتاح / بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته .- ط١ .- القاهرة [عالم الكتب] ، ١٩٩١م ٦٣٤ ص ؛ ٢٦ سم . يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية .

من بين حقب التاريخ الثلاث - القديمة والوسطى والحديثة - تحظى العصور الوسطى بأهمية خاصة لأنها تمثل حلقة الوصل بين العصور القديمة والحديثة ، وذلك بحكم توسطها زمناً بين الأولى والأخيرة . فالتباعد الزمني والحضاري بين العصور القديمة والحديثة ، لانظير له بين العصور الوسطى من ناحية وكل من العصور القديمة والحديثة من ناحية أخرى . وبعبارة أخرى ، فإنه من الصعب على الباحث في الدراسات التاريخية والحضارية بوجه عام أن يطل على العصور الحديثة من واقع العصور القديمة في حين يستطيع المشتغلون بتاريخ العصور الوسطى الوقوف على أوضاع الحياة في كل من العصور القديمة والحديثة دون عناء أو مشقة .

وثمة أهمية أخرى تنفرد بها العصور الوسطى وتكسبها طابعاً خاصاً مميزاً ، وهي أنها تمثل عصور الإيمان (Ages of Faith) . فالدين وتراثه ومؤسساته ورجاله ، شكلوا في تلك العصور القوة الكبرى التي هيمنت على حياة الأفراد والمجتمعات ، وكيفت أوضاعهم الفكرية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك في المنطقة التي نعدّها تاريخياً قلب العالم القديم ، ومركز النشاط الحضاري فيه .

لقد انبعثت نظرة الناس إلى الحياة وآفاقها في العصور الوسطى من منطلق ديني بحت ، سواء في ظل المسيحية أو في ظل الإسلام ، وهما الديانتان السماويتان الكبريان اللتان اقتسمتا ولاء الناس ، وبخاصة في منطقة حوض البحر المتوسط . وحسب تلك العصور أنها شهدت في فجرها انتشار المسيحية حتى صار لرجال الكنيسة الهيمنة المطلقة على حياة الناس الفكرية والاجتماعية والاقتصادية .

كذلك حسب تلك العصور أنّها شهدت مولد الإسلام وانتشاره انتشاراً سريعاً على حساب الوثنية والمسيحية جميعاً ، حتى غدا الإسلام القوة الكبرى الموجهة للمجتمع البشري : للبناء والتعمير ، للحب والتسامح في رقعة فسيحة شملت مناطق من سهول آسيا إلى شمال أفريقية إلى جنوب أوربة المسيحية .

وفي عصور فاضت بمشاعر الدين والعقيدة ، كان لابد من وقوع صدام بين أتباع الإسلام وأتباع المسيحية بعد أن تعارضت المصالح بين الفريقين ، وتلامست الحدود ، وتباينت الأفكار ، فنشبت حروب طويلة استمرت بضعة قرون ، وعرفت في التاريخ باسم الحروب الصليبية . على أن هذا الصدام الحربي بين أتباع المسيحية وأتباع الإسلام في العصور الوسطى ، لم يصحبه لحسن الحظ صدام حضاري من أي نوع بين الطرفين ، بل على العكس تماماً فقد صحبه لقاء وعناق وسط صليل السيوف وطعنات الحراب ، ذلك أن العالم المسيحي الغربي دخل معركة الحروب الصليبية وهو

يشكو مرض التخلف الحضاري المزمن، في الوقت الذي كان المسلمون قد أتموا فعلاً بناء صرح أعظم حضارة عرفتها العصور الوسطى قاطبة، باعتراف الباحثين غير المسلمين .

ويرجع بعض السر في ذلك إلى أن انتشار المسيحية وظهور نفوذ الكنيسة في الشطر الأول من العصور الوسطى جاء مصحوباً بموجة شديدة من التزمت والتعصب ضد الوثنية وحضارتها وتراثها . ولم تكتف الكنيسة عند خروجها ظافرة من معركتها ضد الوثنية بإعدام بعض أعلام الفكر الوثني - مثل الفيلسوفة (هيباتيا) التي مزق الرهبان جسدها إرباً - ، بل لقد أصر رجال الدين المسيحي على إحراق كل ما وصل إلى أيديهم من كتب ومؤلفات الوثنيين، وشتى ألوان العلوم والآداب، كما هدموا معابدهم ليقيموا من أحجارها وفوق أطلالها كنائس وأديرة . وطوال الشطر الأول من العصور الوسطى حتى القرن الحادي عشر لميلاد المسيح ظل التعليم في أوربة الغربية مقصوراً على المؤسسات الدينية من كنائس وأديرة، وظلت دائرة التعليم تحت إشراف رجال الدين لا تتعدى الإنجيل وأقوال القديسين وكتابات آباء الكنيسة، دون أن يكون هناك أي مجال للعلوم العقلية أو الدراسات الإنسانية .

وقد تساءل أحد كبار رجال الكنيسة عندئذ :

«كيف يمكن تنقية الروح وتهذيب النفس عن طريق دراسة أشعار فيرجيل وغيره من الوثنيين الذين يصلون الآن نار جهنم» ؟؟!

وهكذا عاش الناس في أوربة الغربية عدة قرون تحت تأثير نوع من الإرهاب الفكري مارسه رجال الكنيسة ورهبان الأديرة مما أدى إلى وضع من التخلف الحضاري انعكست صورته على العصور الوسطى في العالم المسيحي الغربي، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يطلقون على تلك العصور اسم العصور المظلمة (Dark Age) ولكن الوضع اختلف بالنسبة لعالم الإسلام . فالإسلام نفسه لا تزمت فيه، ولا حدود لرحابة صدره فهو دين إنسانية وتسامح، ولم ينظر المسلمون إلى تراث الوثنية نظرة ضيقة منبثقة من أحاسيس دينية بحتة، وإنما نظروا إلى ذلك التراث نظرة إنسانية واسعة الأفق، بعيدة الهدف .

فلقد تأمل سلفنا الصالح ذلك التراث ودرسوه، وفحصوه فحصاً دقيقاً قبل أن يصدروا حكمهم عليه، ثم تقبلوا منه كل ما لا يتعارض مع تعاليم الإسلام العظيمة وروحه ومثله العليا، وعدلوا ما يتطلب التعديل، ورفضوا ما يستوجب الرفض .

وكان أن أقبل علماء المسلمين على تفهم فلسفة أرسطو، بل لقد شرحوها وردوا على بعض ما جاء فيها. وذلك في العصر نفسه الذي أصدرت البابوية فيه عدة مراسيم شهيرة تحرم على المعلمين والمتعلمين في غرب أوربة دراسة أرسطو وفلسفته أو الإشارة إليها من قريب أو بعيد .

وفي الزمن نفسه الذي حرمت الكنيسة على رعاياها الرجوع إلى علوم اليونانيين، والاستفادة من حصيلتهم في الطب، بل رفضت مبدأ أن يتداوى المريض، لأنها عدت المرض نوعاً من العقاب الإلهي الذي لا يجوز للمريض أن يحاول أن يبرأ منه، وإلا كان ذلك تحدياً لإرادة الله ... نجد علماء المسلمين يعكفون على دراسة ما وصل إلى أيديهم مما كتبه في الطب علماء اليونانيين - أمثال أبقراط وجالينوس - فيأخذون منها الكثير، ويصححون فيها الكثير، ويضيفون إليها الكثير .

وهكذا فشل العالم المسيحي الغربي في أن يقيم صرح حضارة في الشطر الأول من العصور الوسطى إلا بعد أن حطم الحصار الغربي البغيض الذي فرضته الكنيسة على عقول الناس، وعندئذ أقبل الغربيون في أواخر العصور الوسطى على حضارة المسلمين يرتشفون من معينها الذي لا ينضب بنهم، ويستقون من مناهلها في لهفة وشوق .

وتشاء الأقدار أن تتم عملية انتقال الحضارة الإسلامية إلى غرب أوربة في الزمان والمكان نفسيهما اللذين شهدا معارك الحروب الصليبية الدامية بين المسلمين وأدعياء حماية الصليب . فعلى أرض الأندلس العربية المسلمة، وصقلية، والشام، ومصر، وإفريقية

كان الصدام الحربي بين المسلمين والصليبيين في عصر الحروب الصليبية ...

ومنذ ذلك العصر فصاعدا ، استأثرت حضارة الإسلام بانتباه الغرب الأوربي وعنايته ، بوصفها المصدر المحوري والأساسي الذي استمد منه الغرب أقوى دعائم نهضته الحديثة .

والحق يقال إن تاريخ الدولة الإسلامية وحضارتها في العصور الوسطى ، مازال - وسيظل - موضع اهتمام الباحثين المسلمين وغير المسلمين . ويبدو هذا الاهتمام في عديد من الموسوعات والمؤلفات والبحوث والدراسات التي يعرفها كل متخصص في الدراسات الإسلامية والحضارة الإسلامية ويعتمد عليها في درسه وكتابته التي نطالعها بين يوم وآخر ، أو في الكثير من الندوات والمؤتمرات و «السمنارات» التي تعقد بين فينة وأخرى ، وكلها تستهدف في المقام الأول إلقاء ضوء على جانب من جوانب تلك المسيرة التاريخية .

ويعدّ الدكتور سعيد عاشور من أكثر الذين وضعوا مصنفات في التاريخ الوسيط وبالذات تاريخنا الإسلامي ، كما أنه صاحب التصانيف المفيدة، والمنهج العلمي الجاد ، والالتزام الواعي البعيد عن الانحيازية المجد للحيادية العلمية .

ويمتد إسهام الدكتور عاشور في هذا المجال على مدى يزيد على أربعين سنة حين نشر عدداً من البحوث حول تاريخ الإسلام وحضارته في العصور الوسطى ، كما شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات ، العالمية والإقليمية والمحلية التي استهدفت تفسير ما استغلق من الظواهر المرتبطة بعالم الإسلام .

وظهرت هذه البحوث والدراسات متباعدة عن بعضها البعض في الزمان والمكان ، ولكن يربط بينها جميعاً رباط قوي هو تاريخ الإسلام وحضارته .

غير أن هذا التباعد في الزمان والمكان الذي اتصف به صدور هذه المجموعة القيمة من البحوث ، جعل من الصعب أو المتعذر على كثير من الباحثين الرجوع إليها والإفادة منها بل العثور عليها . حتى ما نشر منها ضمن أعمال المؤتمرات العلمية ، تم نشره تحت إشراف جهات حكومية أو شبه حكومية ، فكان نصيبه شأن المطبوعات الحكومية في بلادنا ، في كل زمان ومكان أن تكدس في المخازن ، تحت إشراف «أمين العهدة» ، وهو دائماً من كبراء «حراس الجهالة الصامدين» ، وهذا بدوره لا يستطيع التصرف في أية نسخة منها إلا بعد موافقة العديد من رفاقه الحراس من أرباب الإمضاءات والتوقيعات . وقد سأل كثيرون - وأنا منهم - الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور عن بعض هذه البحوث والدراسات كي نستفيد منها وتكون ضمن مراجعنا ، فرأى أن يجمعها ويقوم بنشرها ، وقد تخير بصفة مبدئية هذه المجموعة التي قدمها في الكتاب المتكامل الذي نعرض له ، واعداً القارئ بنشر البقية في جزأين تاليين بإذن الله .

وقد تضمن هذا الكتاب الذي نعرض له هنا محاور عديدة هي :

- مراجعات لكتابات بعض المستشرقين المحدثين عن الإسلام وحضارته ، وتاريخ لعلاقة الاستشراق بالإسلام والمسلمين .
- أضواء جديدة على حركة الردة في صدر الإسلام أكد فيها على أنه لم تحدث ردة عن دين الإسلام كدين .
- وضح أن القومية العربية لم ولن تكون البديل المرتضى عن الإسلام ، مهما كانت الظروف ، ومهما كثرة أقاويل الأدعياء والأنصاف ومحاسيب ماركس .
- أكد أن الإسلام دين الله رب العالمين ، أرسله للعالمين ، واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم التي نزل بها على رسول الله ، واللغة العربية مرتبطة تماماً بالإسلام ، وبنشر الإسلام انتشرت هذه اللغة - فقد سار الإسلام والعربية جنباً إلى جنب ليشيدا صرح أعظم حضارة عرفها العالم أجمع طوال العصور الوسطى ، وهي الحضارة التي أمدت الغرب بأسس نهضته الحديثة .
- في بحثه عن البحر المتوسط بين أنه شريان حيوي للثقافة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ولعل

هذا المبحث من أمتع المباحث في الكتاب لما فيه من جدة وطرافة ومعلومات جديدة بالنسبة للقارئ العربي المسلم .

- تناول الحالة الاجتماعية في المدينة الإسلامية ببحث اعتمد فيه على الوثائق الموثقة واستقراء التاريخ بشكل علمي جاد .

- وفي محور آخر ألقى بأضواء جديدة على حياة المؤرخ أحمد بن علي المقريزي وكتاباته ، وقد دافع عنه بالأدلة اليقينية مؤكداً أنه صاحب كتاب (المواعظ والاعتبار) وليس الأوحدي كما يزعم بعض الباحثين .

ولعل في إبراز الدكتور عاشور عناية المقريزي بأخبار مختلف طبقات الشعب وفئاته من الأمور التي يستحق الإشادة بها ؛ فالمقريزي لم يكن باستطاعته أن ينزع نفسه من عصر نشأ وعاش فيه ، وصار يعبر عن وجه من فكره وعقليته .

وقد جمع المقريزي بين قوة الحاسة التاريخية من ناحية ، وصدقها وانضباطها من ناحية أخرى . هذا فضلاً عن إدراكه للأبعاد الحقيقية والأركان الرئيسة لعلم التاريخ ، مما جعل منه ظاهرة فريدة بين مؤرخي عصره ، وجعل من تراثه ومؤلفاته ثروة حقيقية تعتز بها المكتبة التاريخية العربية الإسلامية .

- أما بحثه ابن عساكر والمجتمع الدمشقي في عصره فهو بحث ألقاه أصلاً بمناسبة مرور تسع مئة سنة على مولد «العالم والمؤرخ العربي الكبير ابن عساكر».

وقد أشار فيه إلى أن العصر الذي عاش فيه ابن عساكر وكتب فيه تاريخه، كان عصراً حافلاً بالأحداث، بل إنه يمثل حلقة من أخطر حلقات تاريخ بلاد الشام على مر الأيام والعصور . ولذا ، فإن كل كلمة كتبها مؤرخ ورع أمين صادق - مثل ابن عساكر عاش في ذلك العصر ، ورأى بعينيه ، وسمع بأذنيه ، وأحس بفؤاده ، ما لم يره أو يسمع به أو يحس بوقعه غيره - لابد أن يكون لها وزنها وأهميتها في الكشف عن طبيعة ذلك العصر وأوضاعه .

ومن بحوث الكتاب : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية ، المجتمع الشامي في العصر العثماني بين العصور الوسطى والحديثة ، ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية ، مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك ، مكانة الإسلام في برامج كليات الطب في جامعاتنا ، الطب الإسلامي في الجامعات الأوربية في فجر عصر النهضة .

لقد حفلت هذه الأبحاث التي وردت في هذا الجزء بمعلومات قيمة تنم عن قدرة بحثية فائقة وتقدم لنا باحثاً متمكناً من طراز فريد أنار لنا جوانب مظلمة في تاريخنا الإسلامي .

إنها ثلاثة عشر بحثاً ، كل بحث يعبر عن رؤية جديدة ، وفكر جديد ، ومنهج جديد ...

تطور الخط العربي من الجاهلية حتى ظهور الإسلام لمحمود حلمي

نبيل سليم علي
أستاذ في جامعتي الإسكندرية وقناة السويس

حلمي ، محمود / تطور الخط العربي من الجاهلية حتى ظهور الإسلام (دراسة تاريخية أثرية) .- الإسكندرية : المؤلف ، ١٤١١هـ - ١٩٩٢م ، ١٥٠ص.

لما كان كل عصر له ملامحه الخاصة من حيث تغير أنماط الحياة الاجتماعية واختلاف موارد الثقافة ، وتعدد المناهج السياسية والاقتصادية ، وتنوع وسائل الغزو الفكري من الأعداء كان لابد من إعادة دراسة سيرة وتاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، ومحاولة الاستهداء بها في تقويم حياة المسلمين على ضوء الحياة المعاصرة .

وإذا كانت الأمم الغربية تفتخر بقوتها المادية وتقدمها الصناعي ، فإن لنا ماضياً مجيداً بلغت فيه الأمة الإسلامية من الرقي الأخلاقي ، والمادي ، ما لم تبلغه أمة من الأمم ، وإننا حينما نحي مآثرنا ونردد مفاخر ماضينا فليس ذلك لمجرد الاستعلاء أو استجلاب النشوة بتذكر أيام عزنا ومجدنا ، أو تعزية للنفوس عن النقص الحاضر بترديد مفاخر الجمال في الماضي ، وإنما ليكون دافعاً إلى انبعاث الحياة في النفوس ، فتعود هذه الأمة إلى رقيها الأخلاقي الكامل ، ولتأخذ بأسباب التقدم المادي المناسب لعصرها حتى تكون كسلفها الصالح أقوى وأكبر أمة في هذه المعمورة ، فهي خير أمة أخرجت للناس .

ولقد هدفنا من التقديم السابق أن نوضح جانباً مضيئاً من حضارة الإسلام من خلال عرض لكتاب مهم صدر مؤخراً في مدينة الإسكندرية ، يحتوي على بحوث جيدة في مجال تاريخ كتابة القرآن ، وأصل الأبجدية العربية ، اعتمد فيه مؤلفه على الوثائق بوصفها مصادر لمعلوماته ، وكان دافعه في ذلك أن الوثائق هي الأوعية التي تحمل في طياتها أنشطة مجموعة من الناس اكتسبت لغتها وحضارتها من البيئة التي عاشت فيها ، كما أنه تبين خطوات تقدم الحضارة من خلال استخدام الكتابة أداة للتعبير تساعده على تسجيل أفكاره وتجاربه التي استنبطها من بيئته الجغرافية ، هذه الأفكار والتجارب هي أساس التطور البشري . وهي من أهم العوامل التي تؤدي إلى تكوين القرابة المعنوية التي يشعر بها الأفراد في الأمم المختلفة اللغة والتاريخ ، فإن الاعتقاد بوحدة الأصل إنما يكون في الدرجة الأولى من الوحدة في اللغة والاشتراك في التاريخ .

والكتاب الذي نعرض له هو (تطور الخط العربي من الجاهلية حتى ظهور الإسلام) للفنان محمود حلمي الذي اشتمل على رؤية واضحة لتاريخ العرب قبل الإسلام ، ذلك التاريخ الذي اكتنفه غموض كثيف لقلة المكتشف من المدونات التاريخية ، والأثرية التي يمكن أن تسهم في إنارة السبيل أمام الباحثين الذين يحاولون رصد تاريخ الحضارة العربية ومعرفة الأصول التي اعتمدت عليها وعلاقتها بالأمم القديمة ذات الحضارات التي وجدت في الشرق الأدنى منذ عدة قرون قبل التاريخ المسيحي ، وإذا كان الباحثون الغربيون قد وجهوا اهتمامهم لدراسة حضارات الشرق الأدنى القديم بما في ذلك الحضارات العربية ، فإن الباحثين العرب المسلمين الذين أولوا هذا الجانب اهتمامهم كانوا قلة تصل إلى حد الندرة ، وكانوا في

الوقت ذاته متأثرين إلى حد بعيد بما كتبه الباحثون الغربيون ، فيجعلون كتاباتهم إماماً يتبعونه ومسلمات لا يقدرون على رفض شيء منها ، ولعل ذلك كان دافعاً للفنان محمود حلمي إلى الإسهام القوي بالبحث والتنقيب التاريخي والأثري لإعادة قراءة أصول الحضارة العربية التي ارتكز عليها الإسلام في انطلاقة ، فيضيء العالم بنور هدايته وعمله .

وقبل أن نخوض في عرض وتحليل وتقديم هذا الكتاب ، نود أن نلقي بعض الضوء على مؤلفه الذي هو من الرعيل الثاني للفنانين التشكيليين المصريين ، فقد ولد في أحد أحياء مدينة الإسكندرية القديمة ، هو حي رأس التين ، عام ١٩١٦م . وهو يرى في جيله الذي تعايش معه في الثلاثينات من هذا القرن ، أنضج الأجيال وأفضلها من حيث دماثة الخلق وسعة المعرفة والإدراك ، وسمو الفكر والعطاء ، وربما كان هذا هو السبب الرئيسي الذي حدا به إلى إهداء كتابه هذا إلى ذلك الجيل ، وقد احتل هذا الإهداء صدارة الكتاب .

ومحمود حلمي - في تكوينه الروحي وشخصيته المتصوفة - وثيق الصلة بالفن المثالي ، وهو في صوره يواصل السير على دروب كبار الفنانين الإسلاميين ، فثمة استمرار في صوره للروح الإسلامي العربي حيث جمع في أعماله الفنية بين أعلى درجات التجريد الهندسي ومنتهى الإشباع الحسي اللوني ، فإن لم يكن مفهوم «التصوير الإسلامي» تعبيراً متناقضاً (من حيث تحريم الإسلام تصوير الأشخاص) فإن من الممكن عدّ فن محمود حلمي - وفيه الشكل يجمع بين الزخرف والتعبير - إحدى الإمكانات الفريدة التي يتحقق فيها هذا المفهوم .

وطوال نصف قرن من الزمان قدم الفنان محمود حلمي عدة معارض فنية في الإسكندرية والقاهرة وإستانبول ، وشتوتجارت وباريس ، وله أعمال منتقاة في فرنسا وتركيا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا وأمريكا وكندا وكولومبيا ، وسويسرا وأسبانيا والنمسا ، وبالطبع في بلده مصر .

كما أن له عدة أبحاث وكتب ودراسات مثل «الخط العربي بين الفكر والفن» ، والخط العربي بين الفن والتاريخ» و «نقاط من مدخل إلى الفن الإسلامي» ، «واللقاء بين التصوف الإسلامي والتجريد التشكيلي» ، و «جلال الدين الرومي» ، و «نظرة شرقية للفن الأوربي المعاصر» ، و «الفنان يحيى الواسطي ومدرسة بغداد» . كذلك سبق أن شارك بوصفه عضو هيئة تحكيم في مسابقة الخط المقدمة باسم الخطاط التركي المسلم حامد الآمدي ، والمنظمة من قبل المؤتمر الإسلامي بإستانبول . هذا بالإضافة إلى نشاطه في مجال التثقيف الإسلامي حيث يقوم بإلقاء محاضرات في الفنون الإسلامية بجامعة الإسكندرية وجمعية الآثار وكلية الفنون الجميلة بإستانبول .

رؤية نقدية وأمور جوهرية

قد يرى بعض النقاد في فن محمود حلمي ، وحتى في أسلوب كتاباته ، شيئاً من «السطحية» وقد يدرجونه تحت مصطلح «الأسلوب الفطري» ، ولكننا نعتقد أن هذه «السطحية» هي في الحقيقة براءة وطهارة يفتقدها كثير من الباحثين والفنانين والبارعين و «المهرة» .

وهل «الفن» و «البحث» براعة ومهارة ؟

إن أسلوب محمود حلمي وفنه «الفطري» الذي يتزاوج بنجاح مع الموضوع الذي اختار البحث فيه ، خاصة موضوع الأبجدية العربية منذ نشأتها ، يشبه إناء مُطعماً بالصدف والفضة مصنوع كله بيد الإنسان، ويضم طعاماً عربياً إسلامياً شرقياً وبخوراً ووروداً .

ولقد اخترت موضوع الحديث عن كتاب محمود حلمي «تطور الخط العربي من الجاهلية حتى ظهور الإسلام» بعد ما طوفت في عدد من كتب السير والتراجم عن المؤرخين والمستشرقين وجمعت الكثير من مآثر السلف ومناقبهم واطلعت على موقفهم في تطبيق وتسجيل مآثر الإسلام والحضارة العربية .

فهذا الكتاب الذي يقع في مئة وخمسين صفحة من الحجم الكبير ، احتوى على الكثير من اللوحات المأخوذة من المخطوطات الأثرية النادرة لفن الخط العربي ، وكتب مقدمته الدكتور محمد مصطفى

هدارة ، أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية ، فكانت مدخلاً ازدانت بها الأبحاث الثلاثة التي احتواها هذا الكتاب ، وهي بحوث جادة تدعو العقل العربي والمسلم إلى التأمل والتفكر والفخار بحضارتنا التي نأمل أن تستعيد رونقها وعظمتها بفضل أبنائها المعاصرين .

والفنان محمود حلمي يسعى في هذا الكتاب إلى اكتشاف أصول هذه الأبجدية ، وهو في سعيه هذا إنما يكشف أصول الحضارة العربية ، فهو في أعماقه فنان يتقصى بعلمه تاريخ الفن ، وهو يرى في الخط العربي فناً راقياً يَشرُف به تاريخ الفن ، قام على الأبجدية العربية التي تمثل قمة الحضارة الإنسانية ، فالفن والخط والأبجدية دائرة واحدة تتألف من ثلاث حلقات هي لب هذا الكتاب ومادته .

ونلمح منذ البداية أسساً منهجية يستضيء بها الباحث الفنان في دراسته لكل جانب من الحلقات الثلاث ، أولها القراءة الواعية المستنيرة في كتب التراث العربي والدراسات الغربية الأصيلة بحيث نجد شمولاً واستقصاء لمادة البحث في مظانها ، لا تغيب عنه شاردة ولا واردة ، وتلك سمة الباحث المدقق الذي يرتكز على أصول وفروع توفر لبحثه قاعدة معلومات أساسية ينطلق منها في ثقة واطمئنان .

والأساس المنهجي الثاني هو حرية الفكر المطلقة بحيث لا يفرض أي باحث يقرأ له إطاراً يلزمه التحرك فيه والتسليم بمقولاته ، وطبيعة الموقف النقدي تلازم العالم لتفتح له مجالاً للتفكير والإضافة وتحقيق التقدم العلمي . أما الأساس الثالث فهو الإيمان المطلق بالإسلام ودوره الحضاري في تاريخ الإنسانية والعروبة بوصفها أصلاً حضارياً تعرض تاريخه للإهمال أو التشويه .

قراءة تاريخية وأثرية لحروف الأبجدية العربية قبل الإسلام

كان هذا هو عنوان البحث الأول الذي بدأ به الباحث كتابه ، وقد انطلق في هذا البحث ليقدم لنا منذ البداية إرساء لأصول العلاقة بين الفن والخط ، فيقول : «إن عظمة الخالق تتجلى في يد الإنسان حيث أبدع تكوينها ، وصاغ شكلها التشريحي ، وأنها ساعدت على استمراره ودوامه على هذه الأرض ، وأقامت حضارته ، فاليد هي التي كتبت وأحسنت وشكلت إبداع حروف أبجديتنا العربية ، أما قصة الكتابة التي هي وليدة هذه الحروف فهي قصة حضارة الشرق العربي ، نجدها في كل مكان ونراها أينما ظهرت المدنية ، وازدهر الرقي ، وهذه الكتابة بحروفها النمطية المتباينة وجدت بالضرورة لحاجة الإنسان الملحة إليها ، وتطورت معه وارتفع نسقها التشكيلي بارتقائه وأخذت سبيلها الأمثل إلى الذروة مع تقدمه الذوقي والعقلي ، ولا توجد حضارة في العالم المتحضر أولت فن الخط ذلك الاهتمام سوى حضارة الشرق الإسلامي» .

ثم تطرق المؤلف إلى التقارب اللغوي بين اللغات التي كانت سائدة في منطقة الشرق العربي كله بما في ذلك المنطقة الجنوبية ، وأكد أن هذا التقارب اللغوي بين الشمال والجنوب مصدره وحدة الجذور العرقية التي جعلت الجنس العربي الذي يسمى الآن خطأ بالجنس «السامي» ، يتفاهم بلغة واحدة لها أصول متماثلة يتيسر فهمها رغم اختلاف المواطن وتباعد البيئات ، ورغم التباين الكبير والواضح بين الحروف العربية الأولى التي استعملها «عرب الشمال» وهي الحروف «الآرامية» ، والحروف الأخرى التي استعملها «عرب الجنوب» ، وهي حروف «المسند الحميري» الذي يأخذ صورة مختلفة كل الاختلاف عن صور الحروف الشمالية ، وقد بقيت هذه الحروف الجنوبية على صورتها التي ظهرت عليها والتي عرفناها باسم حروف (المسند) في حين اختلفت الحروف الآرامية الشمالية التي أخذت سبيلها إلى التغير لتنبثق عنها حروف أخرى متطورة الشكل كان من أهمها على الإطلاق الحروف «النبطية» الأولية التي كانت هي الأخرى إرهاصات لحروف مختلفة هي (النبطية العربية) ، ثم (العربية النبطية) ثم (العربية الجاهلية) التي بلغت ثمانية وعشرين حرفاً ، ذهب أصحابها إلى أنها جاءت بهذا القدر مثل «المنازل القمرية» المقسمة

إلى ثمانية وعشرين قسماً .

ويؤكد الباحث أنه إذا كانت ظاهرة الإعراب مقصورة على بعض اللغات القديمة دون البعض الآخر فمن الخطأ أن نطلق على لغتنا العربية بالذات أنها من اللغات السامية ، كما أصر البعض أن يسميها بذلك الاسم المزيف ، وذلك مثل ما فعل الكثير من أصحاب الدراسات اللغوية الذين تناولوا لغات الشرق العربي.

إن سبب انتقاده لإدخال العربية ضمن اصطلاح اللغات السامية هو أن هذا الاصطلاح نابع من تقسيم الأمم في سفر التكوين الذي لا يعتمد على ظواهر لغوية أو تاريخية ، وإنما اعتمد السفر في هذا التقويم على الروابط السياسية والثقافية والجغرافية ، متجاوزاً الروابط الشعبية الموجودة بينهم .

وإذا كان اصطلاح «الجنس السامي» أو «اللغة السامية» لا صلة له مطلقاً بشعوب الشرق العربي ولا علاقة تربط بينه وبين هذا وذاك ، فمن الضروري ، أن لا نأخذ بهذا الاصطلاح المزيف ونكف عن استعماله في دراساتنا للتراث التي يجب أن نترفع عن ذكره فيها ، خصوصاً أن الصهاينة قد استأثروا به وجعلوه علما على جنسهم الوضيع . بل هددوا كل من يحط من شأنه وشأنهم .

وإذا كان علينا أن نذكر السامية بشيء ، فعلينا أن نقول إن السامية هي الآن : «الصلف الكاذب» والكبرياء المزيف ، بل هي في أوضح عبارة «الانحلال المتوافر والفساد والإجرام ، واللا أخلاقية المتوارثة» .

لقد تتبع الباحث تطور حروف الأبجدية الآرامية، وعلاقة الآراميين بالأنباط ، وقدم صوراً للنقوش المختلفة التي عثر عليها الأثاريون وفيها كتابات آرامية ونبطية عربية، وكتابات أخرى مثل الكنعانية، والسريانية ، وأوضح في دراسته أهمية نقش النمارة المكتوب سنة ٣٢٨م في توضيح الحروف العربية بصفة عامة ، وأخذ في تحليل النقوش التي أتت بعده ، كنقش زيد ، وأم الجمال وحران وعبيد .

وختم الباحث هذا الجزء بالقول : إن مادة الخط العربي في الدراسات الأثرية والتاريخية ليست هي بالمادة الحضارية فحسب إنما هي مادة إيمانية ، وعلى هذا النحو يجب أن نتناولها في أبحاثنا العلمية ، وعلى هذا النحو أيضاً يجب أن نرتبط بها لأنها بوصفها مادة مصيرية لا يمكن أن يستمر وجودنا في هذا الزمان وذاك المكان بدونها .

أربعة نماذج مبكرة من الخط الإسلامي الأثري

أما البحث الثاني في هذا الكتاب فقد تناول فيه أربعة نماذج من الخط الإسلامي القديم قام الباحث بتحليلها تحليلاً علمياً ، تناول فيه كل الجوانب التاريخية والفنية والدلالية لهذه النماذج موضحاً مكانها في سلسلة تطور الخط العربي الذي يمثل ذروة الفن والحضارة .

وقد تعرض فيه لذكر الخطاطين العرب المبدعين وخاصة ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٨م) الخطاط الذي عاش في بغداد ، إبان ذلك الزمان العصيب الذي سحق فيه المغول الأشرار ، الدولة العباسية .

كما بين الباحث أن كُتاب الوحي كانوا أصحاب فضل في النهوض بصورة الخط وفي مقدمتهم زيد بن ثابت ، وأخذ الباحث في متابعة مراحل جمع المصحف وكتابته ، ثم بدأ في تقديم النماذج الخطية الأربعة مدار البحث وهي النماذج المبكرة في التاريخ الإسلامي يحتل النموذج الأول منها النقش المحفور على صخور جبل سلع بالقرب من المدينة المنورة إلى العام الرابع للهجرة ، أما الثاني فمن البرديات التي يرجع تاريخها إلى عام ٢٢ ، و ٣١ للهجرة ، والنموذج الثالث شاهد قبر يرجع إلى عام ٣١هـ . والرابع كتابة تذكارية كانت فوق السد الذي أقامه معاوية بن أبي سفيان في الطائف عام ٥٨م .

لا وجود لمصحف عثمان في أي مكان

والبحث الثالث والأخير في هذا الكتاب الفريد ، جاء تحت عنوان «إسقاط تاريخي وتحليلي على خط مصحف عثمان» ، وفي اعتقادنا انه أهم بحوث الكتاب ، بل قد يعد الأول من نوعه في مجاله ، إذ عني فيه بدراسة خط المصحف العثماني من الناحيتين

التاريخية والفنية ، وقد تتبع في حديثه عن المصحف العثماني المراحل التي تم فيها جمع القرآن ، فوضح الباحث الفرق بين جمع القرآن بحفظه في الصدور ، وهو ما كان قائماً في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وبين كتابته وهي التي تمت في عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان ، رضي الله عنهما ، وأشار إلى أن أبا بكر هو أول من دعا إلى تدوين القرآن بإيعاز من عمر ابن الخطاب وقد تتبع في دقة وأناة مراحل جمع القرآن من صدور الرجال ، ومن العسب ، واللخاف حتى تم تدوين مصحف عثمان. وأثار في خلال ذلك سؤالاً مهماً عن الفرق بين صحائف القرآن التي جمعت أيام أبي بكر والمصحف الذي تم تدوينه أيام عثمان وناقش الآراء المختلفة في عدد من المصاحف التي كتبت في عهد عثمان بن عفان والأمصار التي أرسلت إليها ، واهتم بدراسة الخط الذي استخدم في تدوين المصحف العثماني والذي كان يستخدمه كُتاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقرر أنه خط يجمع بين المكي والمدني وأنهما تمازجا ليصبح الخط واحداً ، وأن هذا الخط هو الذي استعمل في الرسائل النبوية .

ثم عرض الباحث لفكرة وجود أحد المصاحف العثمانية الآن في أي مكان في العالم ، وانتقد آراء من ادعوا وجودها من أمثال المؤرخ ابن كثير وابن فضل الله العمري والمستشرق كازانوف وقام بدراسة متعمقة واسعة من خلال الأخبار التاريخية أثبت في نهايتها بأدلة علمية موضوعية رفضه فكرة وجود مصحف عثماني سواء في تركيا أو في مصر أو طشقند ؛ لأن هذه النسخ التي حددها الباحثون تختلف في خطها عن الخط المصحفي الذي كتب به مصحف عثمان ، كما قدم الباحث تصوراً لشكل هذا الخط المصحفي .

مسئولية المسلمين نحو هذا الكتاب الأمين

وخلاصة القول إن معظم دول العالم تهتم بأمر وثائقهابوصفها تراثاً قومياً للاستفادة منه في الميدان العقائدي ، والحياتي عامة ، وتضع هذه الوثائق دائماً تحت تصرف العلماء من المؤرخين وغيرهم ليسهموا بجهدهم الفكري لصالح المجتمع الإنساني ، ويعكف المؤرخون على دراسة هذه الوثائق لكتابة التاريخ بطريقة علمية مبنية على الواقع .

وإذا كان المؤرخون قد اهتموا أكثر من غيرهم بأمر الوثائق ؛ لأنها في نظرهم هي المادة الحية لموضوع بحوثهم ، إلا أن هذا لا يعني أنهم وحدهم هم الذين يستفيدون من الوثائق ، فالواقع أن كل من ينشد المعرفة لابد له من الرجوع إلى الوثائق لمعرفة أعمال من سبقوه ، وبعبارة مختصرة فإن جميع العاملين بالعلوم الإنسانية لابد لهم من دراسة المجتمعات التي يكتبون عنها ، سواء في النواحي الاجتماعية أو السياسية أو الدينية وغيرها .

من هنا فإن هذا الكتاب يعد بحق وثيقة إسلامية مهمة يتطلب العناية به في الميدان الأكاديمي ؛ لأن له أهمية لا تقل عن الأهمية التي تستنبط من الوثائق الحكومية في الجانب السياسي أو الإداري ، بل إنه يفوقها أهمية لأنه يتعلق بديننا الحنيف وقرآننا المجيد ، ويستطيع علماء الدين والتاريخ الإسلامي والعلوم الإنسانية عامة دراسة هذه الوثائق التي احتوى عليها هذا الكتاب النادر في محتواه ، وحصر المعلومات التي بها والعمل على تأصيلها والتبحر في مداركها ، لحمايتها والمحافظة عليها ، وتيسير سُبل الاطلاع عليها خاصة لأجيالنا المسلمة الناشئة على قراءة أفكار وآراء المستشرقين أو غيرهم ممن هم ضد الحقيقة الإلهية والتاريخية .

إن كتاب محمود حلمي ، يعدّ من الأعمال المثيرة ، فهو على بساطته الظاهرية الآسرة ، يجمع في حذق بين الفن والعلم ، ويمزجهما في نسيج مرهف دقيق ، وبناء فكري وفني محكم ومركب .

ولعل المظهر الوثائقي هو أول ما يلفت انتباه القارئ لهذا الكتاب ، إلا أن الباحث في استخدامه أسلوب التسجيل الوثائقي تجده ينطلق عادة من موقع التسجيل إلى تفجير القضايا والأفكار والتداعيات والأدلة التي تتجسد بدورها في اقتصاد تحليلي بليغ .

الورد الصافي من علمي العروض والقوافي لمحمد حسن عمري

محي الدين عبدالرحمن رمضان
كلية الآداب - جامعة اليرموك - الأردن

عمري ، محمد حسن إبراهيم / الورد الصافي من علمي العروض القوافي .- القاهرة ، الدار الفنية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، ٣٩٠ ص .

لهذا الموضوع أهمية ترجع إلى كونه جزءاً من أصل من أصول الثقافة العربية أعني الشعر ؛ لأن الوزن فيه أبرز سماته . وقد أثار خلافات شديدة بين المخاطبين بكتاب الله تعالى لكون العرب أبدلوه من الشعر ، بكل سماته ولا سيما نظمه ووزنه وإيقاعه . والشعر لا يعد شعراً إذا خلا عن الوزن والإيقاع (١) . وفي أهميته عامة قول ابن عباس ، رضي الله تعالى عنهما : «الشعر ديوان العرب» (٢) .

وأهمية الشعر من هذا الوجه لكونه حجة للنص العزيز وتفسيراً للمشكل منه ، ومرجعاً لبيان ما استبهم من حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فالعناية بأوزانه وصيغ كلماته توثيقٌ للغة ، مناط الاستدلال به (٣) .

والبحث في هذا الموضوع والكلف به من شأن كل أمة لها شعر . اهتمت به ، وعني به علماؤها بل بعض مفكريها ، وذلك لصلته باللغة التي تختزن الفكر وآثاره في مفرداتها واستعمالها (٤) .

وكتاب (الوِرْد الصافي من علمي العروض والقوافي) لمؤلفه محمد حسن إبراهيم عُمَري ، أحد كتب كثيرة بين أيدي الناس ، مما أُلّف في زماننا هذا ، فهو من مطبوعات الدار الفنية للنشر والتوزيع بالقاهرة ، ويقع في نحو (٣٩٠) صفحة من القطع المتوسط الكبير ، وتمّ نشره في عام ١٤٠٩هـ ، الموافق ١٩٨٨م .

ويشتمل على تسعة عشر فصلاً ، غير مقدمة مختصرة في صفحتين ، يتناول أولُها علم العروض في نحو أربعين صفحة ، ثم يبحث في كل فصل بدءاً من الثاني حتى السابع عشر في أبحُر الشعر العربي ، يستوفي كل ما يتصل به وتداريب عليه ، ويجعل الفصل الثامن عشر للدوائر العروضية ، والفصل التاسع عشر للقافية ومفرداتها ، ويخصّ المراجع والمصادر والموضوعات بخمس صفحات .

أما مؤلفه فهو من رجال التربية ، أمضى سنين في هذه المهنة الجليلة ، وله باعٌ في الشعر ينظمه ، معنياً بإنسانية واضحة ، ومهتماً ببعض هموم الشباب المعاصرة ، الذي يستغرقه الحاضر بكل متناقضاته ، ويعتز بماضيه حضارة زاخرة ويستشرف المستقبل تحقيقاً لرسالة أمة ، عليها تَبِعة الإنسانية في مجال الكلمة ، فنظمه للشعر ، واشتغاله بالتعليم في أكثر مراحله ، وثقافته العامة ، كل ذلك ساعد على أن يأتي عمله في هذا الكتاب في العروض والقوافي على طريق الكمال ، مستوفياً خصائص صِنْفه من كتب المُقررات منهجاً وأسلوباً ولغة وثقافة ، وبيان ذلك في ما يلي شرحه .

إن المؤلف لمثل هذا الكتاب ، في موضوعه ، أو أيّ موضوع آخر ، مرهون بعدة قيود : في مادته ، وأسلوب تناولها ، ومناقشتها ، واستنباط الأحكام ؛ ذلك لأنه لصنف من الطلاب ، يدرسون عن بُعْد . وهذه الصفة بها يُمتحن المؤلف في مثل هذه العلوم التي هو أستاذ فيها ، أعني المتقن لنقل المعرفة صنفاً ومقداراً وأسلوباً وتقريراً وأحكاماً .

وأولُ سمة ينبغي أن يتصف بها كتاب في أيّ موضوع من العلوم الإنسانية ، أعني أصعب أصناف المعرفة وأعسرها إدراكاً وتعليماً ، هو الوضوح ، وهذا ما يجده القارئ في (الورْد ...) يفيده نص المؤلف في مقدمته (٥) من حرْص على السهولة والوضوح والاعتماد على التسلسل المنطقي بين مفردات الموضوع ، فكل مفردة تُسلم إلى الأخرى ، فقد أشار إلى الموسيقا من حيث الظاهر بينها وبين العروض ، وشرح ذلك في «الكتابة العروضية» فجاء على رموز ما تُكتَب به التفاعيل (٦) ، دون أن يبتعد عن موضع الصلة (٧) واستوفى كل ما يحتاجه القارئ من أوليات العروض ، إذ جعل لذلك عنواناً هو «مقدمات العروض» (٨) فدرسَ «الأسباب» و «الأوتاد» و «الفواصل» وغير ذلك من المفردات ثم شرع يشرح كل مفردة بحسب ترتيبها ، وهو في كل ذلك يجمع بين عدة أمور تقف القارئ على المفردة واضحة كل الوضوح من حيث المصطلح وتفسيره ومذاهب العلماء فيها ، وأمثلته ، وتقريره ، يقول في بيت الشعر (٩) : «يتألف بيت الشعر من تفاعيل "أجزاء" وينتهي بقافية ، ويتكون من قسمين متساويين وزناً ، ولكل قسم اسم خاص به..» ويستوفي كل ذلك ويتبعه بأكثر من تمثيل لما جاء ذكره ، ومن تمثيله شرحه لتفعيلات الطويل ، فهو يشير إلى ما قدّمه من أمثلة ، ثم يقرر ما صنّفُ تفعيلاته ، وكيف ترد في البيت بشَطْريه ، وما يطرأ على كل تفعيلة من تغيير ، والصور التي يرد عليها واضحة ، وماذا يُسمى هذا التغيير إن حدث في العروض أو الضرب (١٠) ومنه بحثه في عروض الطويل من حيث ما يصيبها من علة بالحذف للساكن الخامس وهو الياء : مَفاعِلُن ، وما اتفق على تسمية ذلك بالقَبْض ، أو بحذف آخر سَبَب فيها : مفاعي ، واتفق على تسميته بالعروض المحذوفة ، ويشير إلى أن مجيئها سالمة مفاعيلن محذوفة مفاعي لا يقع في غير التصريع إلا شاذاً ، وقد تأتي في غير التصريع تامة ، وهو في كل ذلك يوضح بالتمثيل والشرح (١١) . وبحث بعض المحدثين في هذا ، فيه اختصار شديد وهو موافق لأسلوب القدماء (١٢) ومنّه بحثُه في عروض المديد بأصنافها الثلاثة : المجزوءة الصحيحة (فاعلاتن) والمحذوفة (فاعلا) ، والمجزوءة المحذوفة المخبونة (فَعِلا) (١٣) ، وكلامُ باحث آخر عليها في البحر نفسه مختصر ، ومثله كلام مؤلف قديم(١٤) . وكذلك عروض الوافر ، وقد عدّ خمسة أصناف منها تعيين مصطلح كل صنف ، وحال استعمال كل منها ، وحكمه ، وتوضيح ذلك بالأمثلة الوافية والرسوم المختصرة (١٥) .

ويحرص على بيان أصناف الأعاريض كما هي في البحر الكامل ، فهو يذكر أنها ثلاث ، ويصف كلا منها بذكْر اسمها ، وبيان وزنها ، وهذا غير واضح في كلام مثل أبي بكر الشَّنْتَريني ، ومتداخل في كلام مثل الدكتور سُلْطاني الذي قرن بين العَروض والضَرْب أو أضرُبها (١٦) .

ويعُدّ للرجز أربع أعاريض (١٧) يوافق في ذلك مِن المُحدثين مثل الدكتور سُلطاني (١٨) ، ويمتاز في عَرْضه لهذه الجوانب بأمثلة وشروح ، تقف القارئ على المراد من كل شيء دون لَبْس أو نقص أو زيادة مُخلّة .

ويتخيرُ من مذاهب العلماء في توضيح المصطلحات ما يكفي القارئ مؤونة البحث عن ذلك وانبهامه عليه ، يقول في سبب تسمية الرَمَل إنه (١٩) "نوع من الغناء الجاهلي ، والإسراع في المَشْي ، ومنه الرَمَل في الطواف والسعي ، والطرائق في الحَصير ، لأنه يقال : رمل الحصير إذا نسَجه ، لذا قيل في تسميته : إنه سُمي رملاً لأن الرَمَل نوع من الغناء يخرج من هذا الوزن" .

وهو يحرص على إفهام القارئ أعني الطالب الذي يدرس هذا العلم بالانتساب ، لذلك فإنه يذكر المصطلح في غير موضع ، دون أن يكون في ذكره ضيق أو اضطراب ، نحو ذكره الحَشْو والعَروض والضرْب (٢٠) بل إنّ تناول موضوع العروض يوجب ذكر هذه المصطلحات ، وكذلك مصطلح العلة ، ومدلوله ، ويجعل ذلك في ملاحظة مفردة يفسرها ، وهي في المطبوع بحرف مميز (٢١) ، وكذلك عدة ملاحظات يقف عليها القارئ تفيد حرصَ المؤلف على الإفادة والتوضيح ، يقول في إحدى الملاحظات (٢٢) : "يُسمى العروضيون (مُتَفْعِل ب - -) بما يقابلها وهو (فعولن ب - -) وقد

تجنبتُ هذا حتى لا يظن الدارس أن (فعولن) من تفعيلات البسيط " .

وإذا ذكر مصطلحاً أو كلاماً فيه ، أو مقولة ، ووجد فيها غموضاً عرض لها بالتوضيح والمناقشة نحو كلامه على ما ساق من نصّ الجَوهَري قوله (٢٣) : " أما قوله : ولم يجئ عن العرب في مُثَمنه بيت صحيح فالمراد منه أنه لم يأت على وزْنه التام قصيدة خلَت من الزحاف والعلل ، إنما يأتي البيت تاماً صحيحاً ، إذا كان مُصرَّعا خالياً من الزحاف ، وقوله : ولا جاء عنهم مُسدس ، فالمراد منه أنه لم يأت مجزوءاً عن العرب ، والشاهد الذي أورده مُحدَث ليس بحجة " .

ويأتي على المصطلح إذا كان من المصطلحات الدائرة في العَروض فيوفيه حقه في موضعه الأول ، ويسوق لكل جانب فيه أمثلة وافية (٢٤) . على أن باحثاً آخر ترك هذا مُكتفياً بذكر المصطلح في جملة دون توضيح (٢٥) ، ومثل هذا الجانب لا يقلُّ أهمية عن غيره بل إنّ تناوله واستيعابه يجعل البحث في موضوع ما غاية إلى نتائج واضحة ، ذلك هو ذكر المصطلح وتوضيحه ، واستعمال المألوف والمُجمَع عليه عند أهل هذا العلم . وهو يحرص عليه ولا يدعه ، وذلك نحو إيراده ما جاء في تعريف البحر في المعجم وعند أهل العلم بالعروض (٢٦) ، وإذا ساق لفظاً من صنْف المصطلح نحو البيت والصَدْر والعَجُز أو البَيْت المَشْطور ، أو المُصْمَت وغيره وضّحه بكلام قريب ، ومثّل له بما لا يدَع لسوء الفهم احتمالاً (٢٧) ، ولا نجد مثل ذلك في كتاب المعيار للشَنْتَريني ولا في مثْل كتاب «العَروض وموسيقى الشعر» إلاّ قليلاً مما يُفيد مثلَ الطلاب الذين يخُصهم الباحث بكلامه .

ومن توفيته بحق الكتاب من حيث إنه لطلاب يدرسون بالانتساب توضيحُه لجزئيات المفردات في رسوم تؤكد ما تقدّم من كلام عليها (٢٨) هذا غير استيفاء الكتابة العروضية وإيراد التفاعيل في كل موضع ، وتمييز الكلام والألفاظ المهمة في النص بلون الحبر ، وحجم الحرف ، وفي ما أتى عليه من رُسوم توضيحية يوافق المتقدمين في ما حاولوه من ذلك من تغيير في لون المداد ، لكنه يستوفي هذا الجانب في رسوم شاملة كما في الصفحات (٢٩) التالية : ٢٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٩١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ وغيرها ، وهذا ظاهر في اختلاف مقاس حروف الألفاظ ، عنوانات ومصطلحات ، وفي تصوير تقطيع التفاعيل وموازينها ، ولا يكاد هذا يُرى في كتابي المِعيار والعروض ، وتوضيحه لهذا الجانب من سِمة الكتاب كله ، لا تخلو منه صفحة واحدة ، ومن التزامه بمنهجه ، وإدراكه لمن يكتب ويشرح لهم في موضوع العروض تأخيره البحث في دوائر العروض (٣٠) وهو من قبيل تقديم الجانب العَملي التطبيقي على الجانب النظري ، مما يمثّل اتجاهاً في تقديم المعرفة ودراستها ومناقشتها ولا سيما في مثل هذا الموضوع .

وفي منهجه من حيث عرض المادة وتوزيعها وبيان أجزائها ما لا زيادة عليه ، يقول في المقطع العروضي (٣١) : «ولمعرفة ذلك لابد من تعريف المقطع العروضي ، والمقطع العروضي هو الوحدة الصوتية التي تتألف من حرفين على الأقل ، ومن خمسة على الأكثر ، وقد جعلها الخليل أسباباً وأوتاداً ، تشبيهاً منه لبيت الشِعْر ببيت الشَعْر ومقاطعه هي الأسباب "الحبال" التي تشدّه والأوتاد التي تُثبته» .

ويأتي على ما للبيت من أسباب ، مما يقف عليه القارئ الطالب على ما هو في حاجة إليه ، ولا يُربكه إذا وقف عليه في ما عرَض له القدماء دون أن يُثْقل عليه في ذلك (٣٢) .

وتأخيره لبَحْث الدوائر العروضية موافق للمنهج الذي رسمه لنفسه إذ خصّها بالفصل الثامن عشر ، وهو قبل الفصل الأخير الذي درس فيه القافية ومفردات موضوعها .

ومصادره ومراجعه التي انتفع بها وأتى على بعض نصوصها في الكتاب من أوفى المصادر والمراجع بحاجة الباحث في هذا العلم ، منها ما هو أصل في بابه ، وكذلك شواهده من الشعر وأمثلته التي عرضها واختارها للتدريب ، فهو بها شاعر في كتابه ، تَجتذب القارئ وتُغريه .

ويمتاز عن المتقدمين من مِثْل الشَنْتَريني ومِن المحدثين مِن مثل الدكتور سُلطاني في متابعة أعلام

هذا العلم في تقرير المفردة والمعلومة ومناقشتها وتوثيقها ، فهو يتابع في المصطلح مثل أبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجَوْهري صاحب الصِحاح في اللغة والخطيب التّبْريزي والزَمَخْشَري غير الخليل بن أحمد إمام هذا العلم وتلميذه الأخفش أبي الحسن ، وكذلك طائفة من المحدثين الذين ألّفوا في العروض والقوافي ولا سيما إبراهيم انيس وصَفاء خُلوصي وعبدالعزيز عتيق ومحمد أسبر وجلال الحَنفي (٣٣) .

وقد سلِم من آفة الاستكثار من الحواشي والتعليقات التي لا تفيد ، وهذا من فَضْله وتَمكُّنه مِن علمه ، لذلك جعل فوائده في المَتْن في مواضعها من تقريره أو مناقشته أو دَرْسه ، وميّز ذلك إمّا بالنص على أنه يفيد ويسوق ملاحظة ينتفع بها وإمّا باختلاف بنط الحرف ، ومن ثَمَّ فإن حواشي كتابه تقتصر على ما هو مألوف من العَزْو والإحالة دون أن تثقل بدخيل أو زيادة مُشتتة للذهن مربكة للقارئ (٣٤) .

ومن ميزة هذا الكتاب المفيد أن أمثلته ، وهي من الشعر لأنها مادة العروض والقافية ، وافية متخيَّرة من حيث وضوحها وقربها من الطالب الذي يدرس هذا العلم الذي بات مهملاً في تقرير المناهج إلاّ شيئاً لا يُحسَب في الثقافة العامة ، ولعل هذه الظاهرة القوية التي تؤكد قيمة العَروض بين غيره من المقررات أن أسلوب تدريسه بعيد عن روحه المتمثلة في موسيقا العروض وملازمته لِما في فِطْرة المتعلمين لِحُب النغم والترديد والإيقاع في اللغة وصيغها ، ولذا فإن أكثر شعر أمثلته لمثل امرئ القيس والنابغة والأعشى والمُتنبي وشوقي وأبي ريشة وحافظ إبراهيم وعليّ الجارم وأمثالهم من شعراء الأغاني ومجاميع الاختيار كأمالي القالي والعقد الفريد والذَّخيرة ، فإنها أمثلة غاية في تمام البناء وإيفاء الإيقاع وكمال النغم ، ولعل لذوق المؤلف السليم ومعاناته لقَرْض الشعر أثراً في هذا الاختيار لأمثلته .

وفي بعض أمثلة من كلامه عرضاً وتقريراً وتمثيلاً ما يوضح قيمة هذا الجهد الطيب ، ففي كلامه على الكتابة العروضية قوله (٣٥) : «للموسيقى رموز مكتوبة تدل على الأنغام ، وللعروض (علم موسيقى الشعر) رموز تُكتب بها التفاعيل التي تقابل الأنغام في فن الموسيقى وتعتمد الكتابة في العروض على اللفظ فقط مع ترك ما لا ينطق ، ومعنى هذا أن حروفاً تكتب رغم إهمالها في الإملاء ، وحروفاً تحذف رغم كتابتها ...» . وفي توضيحه للزحاف قوله (٣٦) : «وبيانا لذلك فإن التغيير الطارئ على التفعيلة الواقعة في حَشْو البيت هو المسمى بالزحاف ، وهو جائز كالأصل ، وربما كان الزحاف في الذوق أطيب من الأصل ، أما التغيير الذي يلحق بتفعيلتي العروض والضَّرْب فيسمى العلة ، ويمكن إجمال الفروق بين الزحاف والعلة ...» .

ومن ملاحظاته وإفادته قوله (٣٧) : «أثبتُ صورة التفعيلة بعد دخول العلة عليها كما هي على الأصل ، ولم أذكر ما يقابلها ، حتى لا يلتبس الأمر على الدارس ، إذا قلنا له : ومن أضربه فاعلن بدل فاعلا ، لأن تفعيلة الحَشْو السابقة للعَروض أو للضَرْب هي فاعلن ، فيظن ذلك من الوزن ، لا مما يقابل التفعيلة المعلولة ...» .

ويستدرك بقوله (٣٨) : «وهذا من شأنه أن يسمح بالتداخل في الأوزان في قصيدة واحدة ، فتضيع الضوابط ، ولهذا فإن الشيخ جلال الحنفي أنكر على التبريزي اعتباره لهذا البيت من الكامل بحجة أن القصيدة من البحر الكامل ، وكذلك يحدث إذا دخل الوَقْص أو الخَزْل كل تفعيلات الكامل ، فإنهما ينقلانه إلى الرجز» .

وفي اختياره الذي أشرت إليه سابقاً حجة له نحو قوله على التصريع بشعر عدي بن زيد (٣٩) :

يا لُبَيْنَى أوقدي النارا إنَّ مَنْ تَهوين قد حارا

ومن أمثلة التدريب التي ذكرها قول ابن عَبدربه (٤٠) :

يا وَميضَ البَرْقِ بينَ الغَمامْ
لا عليها بل عليكَ السَّلامْ

ومن شعر علي الجارم مما طلب فيه المؤلف توضيح نوع العروض والضرب قوله (٤١) :

طائرٌ يشدو على فَنَنِ جدَّدَ الذِكرى لذي شجَنِ
قال والأقوام صامتة ونسيم الصبح في وَهَن
هاج في نفسي وقد هدأت لوعةً لولاه لم تَكُن

ومن شعر التمرين لمعرفة البحر والأعاريض والأضرُب قول عمر بن أبي ربيعة (٤٢) :

كتبتُ إليك من بلَدي ... كتابَ مُولَّه كَمِد
كئيبٍ واكفَ العينين ... بالحَسرات مُنْفرد
فيمسك قلبَه بيدٍ ... ويمسك عينه بيَد

ويسوق لعمر أبي ريشة قوله (٤٣) :

أُمَّتي هل لك بين الأمم ... منبر للسيف أم للقلم
أتلقاك وطرْفي مُطرق ... خجلاً من أمسك المُنصرم
أُمَّتي كم غُصَّة دامية ... خنقَت نجْوى عُلاك في فَمي

ومع هذا ، فهناك بعض المآخذ التي لا تَنْقُص الكتاب ولا مؤلِّفه شيئاً مما سبق ذكره ، وأغلب ذلك وجهُ اجتهادي ، نحو تركه ذكرَ الشاذِّ مصطلحاً ومفردة في البحور إلا اليسير من إشارة إليه .

وشرحُ الفرق بين الخَبْن والوَقْص وكلاهما حَذْف (٤٤) واستعماله رقم (ثمان) (٤٥) مركّباً دون ياء ، وهو خلاف الشائع ولم يُشر في الحاشية إلى ذلك بالرغم من أنه وجه في كتابتها دون ياء (٤٦) ، وكذلك تركُه الكلام على الشعر الحديث وأنواعه من حيث وزنه وصلته بالعروض والقافية ، كان لابدَّ من ذكر مختصر يوضح ما لهذا الصنف من الشعر في علم العروض والقافية إن كان ذلك في المقدمة أو في أي موضع من الكتاب مناسب ، وإيراده لكثير من الشعر دون أن يذكر مصدره بالرغم من أنه شعر معروف (٤٧) .

ولا شك بعد هذا أن كتاب (الورد الصافي ..) قريب من الكمال في مادته ومنهجه ، ومؤلفه ذو فضل بما بذل فيه من جهد ، ورائد في هذا الصنف من التأليف الذي يحتاج إلى قدرة أستاذ بارع في تخيرُ المادة وتقديمها .

الحواشي

١ - انظر أصول الشعر العربي ص ٨٥ ، ٨٨ .
٢- انظر إيضاح الوقف والابتداء ١٠٠ ، ودلائل الإعجاز ٧ .
٣ - انظر العروض وموسيقى الشعر العربي ٨ - ١٣ .
٤ - انظر المعيار في أوزان الأشعار ١٥ .
٥ - الورد الصافي ٧ .
٦ - السابق ١٤ .
٧ - العروض وموسيقى ... ٢٦ .
٨ - الورد ١٧ .
٩ - السابق ٢٢ .
١٠- السابق ٤٤ - ٤٥ .
١١- السابق ٤٦ - ٤٧ .
١٢- انظر العروض وموسيقى ... ٥٧ .
١٣- الورد ٧٢ - ٧٦ .
١٤- انظر العروض وموسيقى ... ٦٢ والمعيار ... ٣٨ .
١٥- انظر الورد ١١١ .
١٦- السابق ١٣٢ ، والمعيار ٥٥ ، والعروض وموسيقى ... ٧٢.
١٧- انظر الورد ١٧٩ ، والعروض وموسيقى ... ٧٩ ، والمعيار ٣٢ .
١٨- انظر المعيار ٦٢
١٩- انظر الورد ٢٠١ .
٢٠- السابق ٤٥ ، ٥٩ ، ٨٩ .
٢١- السابق ٥٩ .
٢٢- السابق ١٠٢ ؛ وكذلك ١٠٨ ، ١٥٠ .
٢٣- السابق ٤٤ .
٢٤- السابق ٣٦ .
٢٥- انظر العروض وموسيقى ... ٥٦ ، ٧٩ .
٢٦- الورد ٤٣ ، ٦٧ ، ٨٧ ، ١٢٩ وغيرها .
٢٧- السابق ٢٣ ، ٢٥ ، ٣١ .
٢٨- السابق ٢٠ ، ٣٤ ، ٩١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ وغير ذلك .
٢٩- السابق الصفحات المثبتة في المتن .
٣٠- السابق ٣٤٣ .
٣١- السابق ١٧ .
٣٢- السابق ٢٥ .
٣٣- السابق الصفحات المثبتة في المتن .
٣٤- السابق ٢٣ ، ٤٢ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ١٠٢ .
٣٥- السابق ١٤ .
٣٦- السابق ٢٦ .
٣٧- السابق ٧٢ .
٣٨- السابق ١٥٠ .
٣٩- السابق ٧٩ .
٤٠- السابق ٨٠ .
٤١- السابق ٨٤ .
٤٢- السابق ١٢٤ .
٤٣- السابق ٢٢١ .
٤٤- السابق ١٥ .
٤٥- السابق ٤٣ ، ٦٩ .
٤٦- انظر شرح الكافية ٢ / ١٥٢ .
٤٧- انظر الورد مثلاً ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٨١ وغيرها .

المصادر والمراجع

١ - ابن الأنباري ، محمد بن القاسم أبو بكر (- ٣٢٨هـ) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجل مجلدان، تحقيق محي الدين عبدالرحمن رمضان ، منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١م .

٢ - الجرجاني ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن أبو بكر (- ٤٧١هـ) دلائل الإعجاز في علم المعاني ، طبعة دار المعرفة ، مجلد واحد ، بيروت ١٣٩٨هـ .

٣ - ابن الحاجب ، عثمان بن عمر جمال الدين (- ٦٤٦هـ) كتاب الكافية في النحو بشرح الإستراباذي محمد بن الحسن رضيّ الدين (- ٦٨٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤ - سُلطاني ، محمد علي بن جميل (الدكتور) ، العروض وموسيقى الشعر العربي ، مطبوعات جامعة دمشق ، دمشق ١٩٨١م .

٥ - الشَّنْتريني ، محمد بن عبدالملك أبو بكر (- ٤٥٠هـ) ، المعيار في أوزان الأشعار والكافي في علم القوافي ، تحقيق الدكتور رضوان الداية ، الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامي ١٩٧١م .

٦ - مرجليوث ، د . س ، أصول الشعر العربي ترجمة الدكتور يحيى الجبوري ، جزء من واحد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨١م .



المكتبات الأكاديمية في الضفة الغربية وغزة منذ عام ١٩١٧م

عبدالرحمن العودة
قسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب للبنات - الرياض

نشأت المكتبات في الضفة الغربية وغزة منذ أقدم العصور وغالباً في صورة مكتبات المساجد . إذ أن المسجد الأقصى بالقدس ومكتبته المعروفة بكتبها ومخطوطاتها ، من المراكز التعليمية المتميزة لتعلم الدراسات اللغوية والدينية والذي كان يجتذب الكثير من طلاب العلم من بلاد مختلفة . كما أن الأكاديمية الإسلامية بالقدس كان لديها مكتبة غنية مكونة من عدة آلاف من الكتب والمخطوطات (١) .

أما المكتبات الأكاديمية في الجامعات والمعاهد فما زالت قيد التطوير المستمر . فقد أنشئ في العقدين الأخيرين في الضفة الغربية وغزة ست جامعات وعدة معاهد عليا (٢) . وذلك لخدمة الطلاب العرب هناك بالإضافة إلى الطلبة من أبناء الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال الصهيوني منذ عام ١٩٤٨م ، إذ يزيد عددهم على نصف مليون فلسطيني (٣) .

ورغم تناسب عدد الجامعات مع عدد السكان إلا أن هناك تنافساً حاداً بين الطلاب للالتحاق بالجامعات . فعلى الرغم من ضرورة اجتياز الطلاب في نهاية المرحلة الثانوية لامتحان صعب وشامل «التوجيهي "Matriculation Diploma" فإن على الراغبين الالتحاق بالجامعات أن يجتازوا هذا الامتحان بتفوق مع ضرورة إتقان اللغة الإنجليزية ، مع العلم أن لغة التعليم هي العربية .

وتزخر مكتبات الجامعات والمعاهد بالمؤلفات الإنجليزية والعربية في مختلف العلوم والفنون بحيث تخدم المناهج التعليمية التي تُدرَّس في تلك الجامعات خلال كل عام دراسي .

وتوجد في الضفة الغربية وغزة الجامعات الآتية :

جامعة النجاح الوطنية ، جامعة بيرزيت ، جامعة بيت لحم ، جامعة الخليل ، جامعة القدس ، وجامعة غزة الإسلامية .

وقد أنشئت هذه الجامعات في فترات مختلفة .

فجامعة النجاح الوطنية * أسست عام ١٩١٨م بوصفها مدرسة ثانوية خاصة في مدينة نابلس (كبرى مدن الضفة الغربية) ثم تحولت إلى كلية ، ثم جامعة ، وذلك في عام ١٩٧٧م . وقد استطاعت هذه الجامعة أن تسد حاجة معظم الطلاب في المنطقة الشمالية ذات الكثافة السكانية العالية ، وخاصة الذين لم يستطيعوا مغادرة البلاد للدراسة في الخارج (٤) .

بينما أسست جامعة بيرزيت في عام ١٩٢٤م بوصفها كلية ثم أصبحت جامعة في عام ١٩٧٢م (٥) .

وتأسست جامعة بيت لحم عام ١٩٧٣م في مدينة بيت لحم (٦) . وأسست جامعة الخليل بوصفها كلية للدراسات الإسلامية عام ١٩٧١م ثم تحولت إلى جامعة عام ١٩٨٠م (٧) .

أما جامعة القدس فقد أسست في عام ١٩٧٨م (٨). أما جامعة غزة الإسلامية فقد فتحت أبوابها للدراسين عام ١٩٧٨م ، وأصبح عدد طلابها يفوق عدد الطلاب في أيٍّ من الجامعات الأخرى (٩) .

وقد رافق هذا التطور في مؤسسات التعليم الجامعي نمو وازدياد في عدد وحجم المكتبات الأكاديمية التابعة لهذه الجامعات والمعاهد . ومع ذلك فالمكتبات في الضفة الغربية وغزة ليست من الضخامة بمكان ، كما أنها تفتقر إلى التسهيلات التي تقدمها التقنية الحديثة في هذا العصر ، وكل هذا يعود إلى معوقات سياسية واقتصادية . ففي بحث

أجريته عام ١٩٨٧م (١٠) ، كان وضع مكتبات الجامعات في الضفة الغربية وغزة كما يأتي :

تتراوح مقتنيات هذه المكتبات من الكتب باللغتين العربية والإنجليزية بين ثمانية عشر ألفاً وتسعين ألفاً من المجلدات . أما اشتراكات الدوريات العربية والإنجليزية فتتراوح بين خمسين ، وست مئة دورية . وبالنسبة للمواد غير الورقية فهي موجودة في عدد محدود من هذه المكتبات . وهنا لابد أن أشير إلى أن الرقابة والحظر المفروضين من قبل سلطات الاحتلال على عمليات التزويد كبيرة مما يمنع وصول الكثير من المواد العلمية إلى هذه المكتبات .

وكما يختلف حجم المقتنيات من مكتبة لأخرى يختلف عدد المكتبيين . فمجموع المكتبيين العاملين في الجامعات الست هو مئة وأربعون مكتبياً ، منهم واحد وثلاثون مكتبياً متخصصاً (أي يحمل شهادة البكالوريوس أو الماجستير في علم المكتبات والمعلومات) ومعظمهم من خريجي الجامعات الأمريكية، وكذلك مئة وتسعة من المكتبيين غير المتخصصين (يحملون شهادة البكالوريوس أو الماجستير في تخصص آخر غير علم المكتبات ، وحاصلون على دورات تدريبية في علم المكتبات لفترات زمنية مختلفة) .

وتقوم هذه المكتبات بعمليات الفهرسة والتصنيف وبقية العمليات الفنية الأخرى والخدمات المكتبية المتعددة لخدمة القراء والمستفيدين ، ولدعم البحث العلمي . حيث تقوم كل مكتبة على حدة بعمل الإجراءات اللازمة لتنظيم مقتنياتها .

وتستخدم جميع المكتبات خطة تصنيف ديوي ، الطبعة التاسعة عشرة لتصنيف موادها ، مع استحداث تعديلات محلية فيما يخص بعض مواد اللغة العربية وآدابها والدين الإسلامي . وأما بالنسبة لرؤوس الموضوعات فتستخدم قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس مع بعض التعديلات للغة العربية وآدابها والدين الإسلامي . أما ميزانيات تلك المكتبات فهي تتراوح بين اثني عشر ألف دولار أمريكي وثلاث مئة وستين ألف دولار سنوياً في أعلاها . وذلك حسب البيانات التي قدمت في الدراسة المذكورة (١١) .

وتشغل هذه المكتبات مباني مؤقتة لم تصمم مسبقاً كمكتبات جامعية ، حيث إن المباني التي صممت لتكون مكتبات لم يتم إنجازها بعد ، وبعضها لم تحصل الجامعات بعد على الموافقة المطلوبة من سلطات الاحتلال لبدء البناء في المباني الجديدة والأخرى المعطلة ** والتي تتبع للجامعة .

أما فيما يتعلق بالأنشطة التعاونية بين هذه المكتبات فهناك جهود فردية في مجال الإعارة التعاونية بين هذه المكتبات بصورة غير مقننة عن طريق الاتصال الهاتفي ، أو بإيفاد مندوب لتسلم أو لتسليم المواد المطلوبة (١٢) .

من هنا نرى أن حجم مقتنيات المكتبات في جامعات الضفة الغربية وغزة تتفاوت بشكل كبير إذ أن معدل نسبة الكتب للطلبة تتراوح بين ستة إلى ستة وثلاثين (٦ - ٣٦) مجلداً لكل طالب ، والمتوسط العام واحد وعشرون مجلداً لكل طالب (١٣) .

بينما نسبة الكتب إلى عدد الطلبة في الجامعات البريطانية هو أربعون (٤٠) مجلداً لكل طالب (١٤) .

كما أن نسبة المكتبيين المتخصصين إلى غير المتخصصين هي ١ : ٣ أي متخصص مقابل كل ثلاثة غير متخصصين بينما نرى أن النسبة في مكتبات الولايات المتحدة الأمريكية منذ عشرين سنة هي ١: ٢ مكتبي واحد متخصص مقابل اثنين من المكتبيين غير المتخصصين (١٥) .

هذا بالنسبة للمقتنيات والمباني والموظفين ، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد فقد تبين أن هناك صعوبات أخرى تعاني منها تلك المكتبات التي أوردها مديرو هذه المكتبات في ردودهم على أسئلة الاستبانة التي استخدمت في الدراسة المذكورة ، ومنها . انعدام التخطيط المتقدم لعدم استقرار الوضع هناك ، والنقص في كمية مصادر المعلومات ، والنقص في كمية الدعم المادي ، والنقص في وسائل الاتصال الفعال بين المكتبات . مع العلم أن المكتبات بحاجة إلى تخطي هذه العقبات حتى تتمكن من تقديم خدمات فعالة فمقتنيات المكتبات فقيرة بشكل عام باستثناء بعضها ، وسوف تجد المكتبات طريقة

للإسهام في تخفيف حدة هذه الصعوبات إذا ما أنشأت نظاماً للتعاون فيما بينها في مجال تبادل المعلومات وبعض الخدمات، حيث إن الأبعاد الجغرافية بين مواقع هذه الجامعات قريبة نسبياً. إضافة إلى أن هناك تأييداً كبيراً من قبل مديري المكتبات لإنشاء مثل هذا النظام، حيث عبروا عن هذا التأييد في استبانة أعدت لذلك ضمن الدراسة التي سبق أن أجريتها (١٦).

مع العلم أن بعضاً من هذه الفعاليات موجود ولكن بصورة غير رسمية وغير منتظمة.

لكن هناك بعض المعوقات التي تعوق ظهور مثل هذه النشاطات وأهمها الافتقار إلى التخطيط المتقدم، والافتقار إلى وسائل الاتصالات الحديثة. والعامل الرئيسي وراء تلك المعوقات هو الاحتلال الصهيوني الذي يفرض قيوده على الأرض والإنسان والفكر، إضافة إلى حظره المستمر على الكتاب والمجلة والكثير من المواد العلمية الأخرى التي ترسل للجامعات ومكتباتها من الخارج.

المراجع

١ - عارف باشا العارف / تاريخ القدس، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٥١م. ص ١٩٤ - ٢٠٠.

٢ - مجلس التعليم العالي / الدليل الإحصائي للجامعات الفلسطينية، القدس: دار الأرقم للنشر، ١٩٨٦م. ص ٦.

٣ - Edward W. Said and others / A Profile of the Palestinian People (Chicago : Palestine Human Rights Cam-paign. 1985). PP . 12 - 15 .

٤ - مجلس التعليم العالي. (المصدر السابق) ص١٤ - ١٥.

٥ - المصدر السابق، ص ١٦.

٦ - المصدر السابق، ص ١٦ - ١٨.

٧ - المصدر السابق، ص ١٩ - ٢٠.

٨ - المصدر السابق، ص ٢١ - ٢٢.

٩ - Facts and Figures, Gaza : Islamic University of Gaza, 1986 . PP . 5 - 13 .

١٠ - Abdul -Rahman Alodeh, "Feasibility and Support for an Interlibrary Loan Network among the West Bank and Gaza A cademic libraries." PH.D. dissertation, University of Missouri - Columbia,. USA, 1987 .

١١ - Ibid., PP. 66 0 75 .

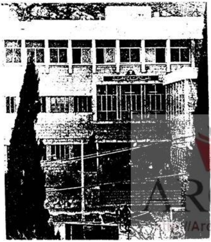
١٢ - Ibid., PP. 76 - 79 .

١٣ - Ibid., PP. 91 .

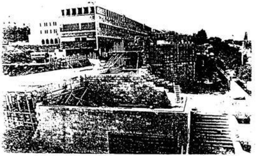
١٤ - المكتبات الجامعية، أحمد بدر ومحمد فتحي عبدالهادي. - القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧، ص ١٨١ - ١٨٣.

١٥ - المصدر السابق. ص ٥٩.

١٦ - Alodeh, PP. 80 - 81 .



• مبنى جامعة النجاح الوطنية وملحق بها مبنى المكتبة



•• هذه المباني لجامعة النجاح الوطنية ومنها مكتبة الجامعة وهي موقوفة ومعطلة عن الإكمال منذ شهر مارس ١٩٨٣م بأمر من سلطات الاحتلال.

ندوة: المخطوط العربي وعلم المخطوطات

عبدالعزيز الساوري
وجدة – المغرب

نظمت كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط (1) ندوة دولية في موضوع: «المخطوط العربي وعلم المخطوطات أو ما يسمّى بالكوديكولوجيا» أيام ٢٧ – ٢٨ – ٢٩ فبراير ١٩٩٢م.

شارك فيها «ثلة من خيرة العلماء والمستشرقين والجامعيين يعدُّون حجّة في مجال علم المخطوطات» وقد قدمت إلى الندوة مجموعة من البحوث هي:

- ملحوظات حول الخط الأندلسي: محمد بنشريفة محافظ الخزانة العامة – الرباط.
- هوداس والكتابات المغاربية: DEROCHE Francais L.C المدرسة التطبيقية للدراسات العليا – فرنسا.
- الملازم في الكتابات اللاتينية في نهاية العصر الوسيط: VEZIN Jeam المدرسية التطبيقية للدراسات العليا – فرنسا.
- حول مخطوط في صناعة الخط منسوب إلى ابن الوحيد: عبدالواحد جهداني المركز الوطني للبحث العلمي – فرنسا.
- لماذا كتب المسلمون أسبانيتهم في الأندلس بحروف عربية؟: بوزينب الحسين، كلية الآداب – جامعة محمد الخامس – الرباط.
- المخطوطات الإسلامية الكستيانية والأراكونية في اللغة الأعجمية: Maria Jeous VIGUERA كلية الفللوجيا – جامعة مدريد.
- مخطوط «الخاميادو» المحفوظ بالأسكوريال تحت رقم ١٨٨٠. BRAULIO JUSTEL CALABOZO جامعة قاديش – أسبانيا.
- توطين وتاريخ المخطوطات الأسبانية المكتوبة بحروف عربية (الخاميادو): Gerasd WIEGERS جامعة ليدن – هولندا.
- تحديد المخطوطات بواسطة قاعدة للمعطيات لمستهلات الكتب: Hamesse Jacqueline الجامعة الدولية لمعاهد دراسات القرون الوسطى.
- المخطوط العبري صورة للمعارف اليهودية الوسطوية: أحمد شحلان مدير مكتب تنسيق التعريب – الرباط.
- المخطوطات اليهودية – العربية الوسطوية: بعض المؤلفات نموذجاً: مونسيرة أبو ملهم كلية الفللوجيا – جامعة مدريد.
- الخط المغربي والهوية المفقودة: الناجي الأمجد وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر – الرباط.
- الشيخ حمد الله الأماسي والقرآن الكريم: جورج عطية مكتبة الكونجرس – واشنطن.
- المخطوطات البربرية بالعربي تقديم ببليوجرافي: أمهان علي مديرية التراث – الرباط.
- علم المخطوطات التطبيقي – خطوط المقريزي نموذجاً: WITKAM Jeam مكتبة جامعة ليدن – هولندا.
- الكوديكولوجيا: المفهوم والأهداف: طريف السمان المكتبة الوطنية بفينا – النمسا.
- تقنيات إعداد المخطوط العربي: محمد المنوني – كلية الآداب – جامعة محمد الخامس – الرباط.
- مشروع فهرسة المخطوطات الأندلسية في العالم: Peter Sjoerd Van Kaningsveld جامعة ليدن –

هولندا .

- ورقة من كتاب سيبويه على ضوء مخطوط قديم : Humbert Genevieve المركز الوطني للبحث العلمي - فرنسا .
- علم المخطوطات والتحقيق العلمي : أحمد شوقي بنبين كلية الآداب - جامعة محمد الخامس - الرباط .
- الوصف الكوديكولوجي في فهارس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية الفرنسية Guesdon Marie Genevieve المكتبة الوطنية - باريز .
- أهمية عبدالله بن الحيا (٩٧ - ١٧٤هـ/٦١٧ - ٧٩٠م) قاضي مصر ومكتبته الخاصة في تصنيف وتوزيع كتب القرنين الأول والثاني الإسلامي : الخوري رئيف جورج جامعة Heidelbesg - ألمانيا .

في الجلسة الافتتاحية قال أحمد شوقي بنبين رئيس اللجنة التنظيمية للندوة إن «دراسة المخطوط العربي على ضوء معطيات علم المخطوطات الحديث موضوع جديد لم يهتم به حتى الآن في معهد أو جامعة وهذه سابقة علمية يمكن لكلية آداب الرباط أن تعتز بها وتفتخر» (٢) .

ومصطلح الكوديكولوجيا في نظره يهدف «في دراسة المخطوطات إلى شيأين :

١ - دراسة كل أثر للكتابة في المخطوط باستثناء المتن أو النص بالتعبير المعاصر .

٢ - البحث في العناصر المادية للمخطوط» .

وأكد شوقي بنبين أن غاية هذا العلم هي «دراسة كل ما يحيط بالمتن من حواش وتعليقات وتفسيرات وإضافات ووقفيات ، وكل ما من شأنه أن يساعد على التعريف بالمخطوط وبصاحبه وتاريخه وبمن تملكه وقرأه ونسخه وبكل ما له علاقة بالمحيط التاريخي والجغرافي للمخطوط ، وأخيراً دراسة الوعاء وطريقة صناعته وتركيبه كالبحث في نوع الجلد والورق والملازم وغيرها من الجوانب المادية والتقنية التي درسها علماء الفيلولوجيا بالنسبة للمخطوط الغربي وحتى بالنسبة للمخطوط العبري» .

وتأسف أحمد بنبين أن «المخطوط العربي بقي يفتقر إلى هذا النوع من البحث والدراسة ، وينتظر من المهتمين بشئون التراث من ينفض عنه الغبار لا للاهتمام والاستفادة من متنه ومحتواه فقط ، ولكن لدراسته كقطعة مادية بصرف النظر عن موضوعه ومادته العلمية» .

ثم طرح الباحث مجموعة من «التساؤلات طالما حيّرت الباحثين في مجال التراث ، فمثلاً ما معنى السِّفْر ، السُّفَيْر ، المجلد ، الجزء ، الكراسة أو الكرّاس؟... إلخ، ماهي الفهرسة؟ ماهي حدودها؟ حتى الآن ليس لدينا تحديد نهائي يُجمع عليه الباحثون في مجال التراث ، كيف ظهرت «التعقيبة» (٣) كنوع من الترقيم في المخطوط العربي . ؟

وهل كان ظهورها في المخطوط العربي الوسيط من تأثير المخطوط الغربي. ؟» .

وخلص الباحث إلى أن هذه الندوة «على الرغم من تنوّع محاورها فإنها لن تجيب عن كل التساؤلات المطروحة بقدر ما تهدف إلى إشعار المهتمين بشئون المخطوطات وكل الذين لهم غيرة على هذا التراث بأن المخطوط العربي وتاريخه لازال حقلاً بكراً ، وأن البحث في عناصر الكوديكولوجيا يمثل المرحلة الأولى والأساسية في عملية نقد النصوص» .

وفيما يلي مُضمَّن بعض المداخلات :

* تقنيات إعداد المخطوط المغربي لمحمد المنوني :

تركزت الداخلة على أدوات الوراقة التي استخدمها المغرب عبر العصر الإسلامي الوسيط والحديث ، وتناولتها من جهة خصوصيات المغرب الوراقية .. وفي هذا الإطار انطلق الباحث - أولاً - من خصوصية استمرار الغرب الإسلامي في عصوره الأولى على كتابة المصاحف الشريفة في الرق دون الورق ، لما أثار ملاحظة البشاري في «أحسن التقاسيم» .. ومع انتشار الورق بالمغرب يسجل القلقشندي : ق ١٤ ، أن المغاربة - لعهده - لا يزالون يكتبون القرآن الكريم على الرق .. على أن الوثائق الرقية امتدت كتابتها بالمنطقة حتى ق ١٨ .. ومن المؤشرات لهذا الاستمرار، ما يتوفر عليه المغرب - إلى الآن - من مخطوطات رقية كتباً ووثائق محفوظة في الخزانات ولدى

الخواص .. ومن الرق انتقل الباحث إلى الورق ، فلاحظ - أولاً - احتفاظ المغرب باسمه الأصيل: الكاغد، كما أن أحد المغاربة من سوس أسهم في عمل ورق اليد ، وهو كاغد في نهاية الدقة ، فيصنعه ويكتب فيه بخطه الدقيق ، وهو ابتكار أثار تمجيد المهتمين قدماء ومحدثين .. ويضاف لهذا أن المغرب تأثر في بعض أعماله بشكل الكتاب عند الرومان ، فاستمر المغاربة في وثائقهم العدلية ، يخرجونها في ورق طويل تلطق صفحاته بعضها ببعض .. وفي بعض جهات المغرب كانوا يستعيضون عن الورق بالكتابة على ألواح خشبية ، فيدونون عليها الإشهادات العدلية والقوانين المحلية .. وفي قطاع الأمدة استعمل المغرب المداد المطيب ، كما هو واقع مصحف أبي الحسن المريني الباقي بالقدس الشريف، فكان مداده من فتات المسك وعطر الورد ، ثم مصحف المنصور السعدي بالأسكوريال ، وقد كتب بالمداد المقام من فائق العنبر ، المتعاهد السقيا بالعبير المحلوك بمياه الورد والزهر .. ويفهم من وفرة الرق بالمغرب ، أن كتبته كانوا يتوفرون على المداد الخاص بهذا الصنف، وهو حبر أحمر موصوف عند المختصين .. وإلى هذا كان بعض المغاربة يتوفر على أشياء يكتب بها كالأمدة ، ولا تظهر الكتابة حتى تعالج .. وأول ذكر لمواد التذهيب في المخطوطات ، يصعد إلى أواخر ق ٦/ ١٢ ، وبالضبط في مخطوطة من «محاذي الموطأ» لابن تومرت وما معه ، فيأتي في ذيلها : وكتب وذهب بمدينة فاس حرسها الله ، وكان تمام جميعه في الثاني عشر من صفر الخير ، عام ثمانية وثمانين وخمسمائة .. وتتضح خصوصية المغرب في هذه الناحية ، إذا لاحظنا تميز المغرب فيما يتوافر من مخطوطات ذهبية زخرفية ، مما قد لا يتوافر في جهة أخرى إلا قليلاً .. وإلى المباشرين لهذه العملية أسهم بعض المؤلفين في التعريف بها، والقصد - أولاً - إلى مؤلف في صناعة التسفير ، حيث يخصص من مؤلفه باباً لصفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء ، وصفة الكتابة به على الورق والجلد ، وقد عاش هذا المؤلف في العصر السعدي ، وفي العصر العلوي مؤلف فنان من تطوان «كتاب صنعة الروافد» .. كما أن السلطان العلوي محمد الثالث أسس بفاس شبه مدرسة لتعليم الزخرفة في الكتب .. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الصناعة ترسخت بالمغرب إلى القرن ٢٠ .. وقد عرف المغرب خصوصيات في أوعية الأمدة : محابر ضيعة ، وبعض أقلام ذهبية ونحاسية مذهبة ، ومحمل للكتب غريب الشكل برسم أبي سالم المريني إلى وضع خاص لمسطرة الأوراق ، ولتلوين الكتابة استعمل المغرب الظرف المشهور باسم المجمع ، وتتعدد فتحاته بتعدد الأصباغ المطلوبة ، حتى تصل حيناً إلى ١٣ فتحة . وأخيراً ، فإن المغرب السعدي شاع فيه تنشيف الكتابة بسحيق الذهب بديلاً عن استعمال الرمل خالطاً أو مخلوطاً .

* التحقيق العلمي وعلم المخطوطات لأحمد شوقي بنبين : سعى هذا العرض إلى جعل الباحثين عموماً والعاملين في حقل التحقيق العلمي خصوصاً يشعرون بالعلاقة العضوية التي تربط بين هذه العملية العلمية وبين ما يسمى بعلم المخطوطات . فباستثناء الفهرسة التي خضع لها جزء من تراثنا المخطوط التي تعدّ بحق عنصراً من عناصر هذا العلم فإن المخطوط العربي لم يدرس بعد دراسة مخطوطية يستفيد من خلالها من كل عناصر الكوديكولوجيا كما استفاد منها صنوه اليوناني واللاتيني والعبري ، ويوم يخضع المخطوط العربي لهذه الدراسة فإن النتائج التي تتمخض عنها هذه الدراسة ستلزم المهتمين بشئون التراث والتحقيق إلى إعادة النظر في كل ما حقق من كتب التراث منذ بداياته على يد المستشرقين حتى الوقت الراهن .

- الشيخ حمد الله الأماسي والقرآن الكريم لجورج عطية : تقتني مكتبة الكونجرس الأمريكي مخطوطة نادرة وجميلة جداً لأجزاء من القرآن الكريم على الأرجح بقلم الخطاط التركي الشهير ياقوت حمد الله الأماسي (١٤٣٧ - ١٥٢٠م) ولسوء الحظ أن هذه المخطوطة لم تدرس بعد دراسة كافية من ناحيتها الفنية والتاريخية والحضارية . بعض أوراق هذه المخطوطة باللون الوردي ومنقطة بتوريقات ذهبية

ضمن رقعات الخطوط ولكن ما يميزها هو مقدمتها بصفحتين باللون الأزرق والذهب بالغة الجمال ونادرة في تلك المدة .. وأما الخاتمة التي ينتهي بها النص وتتضمن اسم الناسخ وتاريخ النسخ فحبرها ملطخ مما يجعل قراءتها صعبة ويدل سطح الورقة الأخيرة على أن هناك من حكها في محاولة لمحو الاسم .. وقد حاول الباحث وصف هذه المخطوطة والطريقة العلمية التي اتبعت للتحقق من اسم الخطاط وأشار إلى أهمية الشيخ حمد الله في تاريخ الحضارة الإسلامية .

* الخط المغربي والهوية المفقودة للناجي الأمجد : سعى هذا البحث إلى محاولة إبراز الكتابة العربية بالمغرب .

- تجذر هذه الكتابة لتصل إلى أنموذج الخط المغربي .
- التقعيد لهذا الخط من طرف مبدعيه بنوع من المعيارية .
- إسهام المخطوط المغربي في إرساء دعائم التواصل على المستوى المعرفي .
- إشكالية الهوية تبدأ أساساً منذ الانفتاح على ثقافات أخرى ظل الخط المغربي لصيقاً بها مدة ليتحول بعد ذلك إلى نكران الهوية .
- كيف سيتم الإشعار والوعي بتراث يكاد أن يندثر ؟ إعادة هذه الهوية ؟ .
- التركيز على الجانب التعليمي بمناهجه وكيفية إدماج هذا النوع من الخطوط في المقررات .
- رعايته وفق مخططات تنصب في الوعي بجمالية معاصرة .

* حول مخطوط في صناعة الخط منسوب إلى ابن الوحيد لجهداني عبدالواحد : رغم ضخامة التراث العربي الإسلامي فيلاحظ ندرة المخطوطات التي تتحدث عن الكتاب من حيث صناعته وتكوينه .. وفي العصر الحاضر انصب جل اهتمام الباحثين في التراث العربي نحو مادة الكتاب العربي المخطوط سواء من أجل الدراسة أو من أجل التحقيق والنشر .. ومع ظهور علم الكوديكولوجيا – علم دراسة المخطوط نفسه – وازدياد الاهتمام به في العالم الغربي ، انبرى عدد قليل من الباحثين في العالم الإسلامي إلى الاهتمام بالكتاب العربي المخطوط وفق معايير هذا العلم .. والمخطوط الذي قدمه الباحث ، والمسمى بـ «لمعة المختطف في صناعة الخط الصلف» ، الموجود بالمكتبة البلدية بمدينة ليون [فرنسا] والمنسوب إلى العلامة ابن الوحيد ، يعدّ أثراً جديداً في موضوعه يضاف إلى الآثار القليلة التي نشرت في هذا الباب .

* لماذا كتبت عجمية الموريسكيين بحروف عربية؟ الحسين بوزينب : وإننا اليوم نضع تحت عبارة ALJAMIA أو LITERATURA ALJAMIADA ذلك النتاج الأدبي المكتوب بلغة المدجنين والموريسكيين الرومانسية ولكن بحروف عربية ، ويجب أن لا ننسى أن العجمية بالنسبة لهؤلاء كانت تتخطى هذه الحقبة القريبة لتمتد إلى تلك السابقة التي كانت بالطبع أقل أو نتاجية منها ، إننا سنجد بدون شك ، أن هذه المدة (فترة المدجنين والموريسكيين) أفرزت نتاجاً ناضجاً في غاية الأهمية والسبب في غياب تطور لهذه الظاهرة في الحقب التي زرعت فيها البذرات الأولى يرجع إلى عدم توفر الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي ستعرف زمن المدجنين والموريسكيين . فالتطور الحاصل في الخريطة اللغوية الأندلسية نتيجة التحولات الاجتماعية العامة خلال فترة الاسترجاع المسيحي للأراضي الأندلسية سيكون هو المنطلق للظاهرة الأعجمية في صورتها الناضجة .. إن منهجية الباحث في دراسته توخّت وضع تسلسل وإن لم يكن كاملاً للظاهرة الأعجمية ، فعلى الأقل سيحاول تقديم طرحاً ممكناً لذلك التسلسل يرتكز على تتابع للأشياء يتحاشى كل تعليل بواسطة ظواهر غير عادية ، وطرح المداخلة يتلخص في عدّ أعجمية الخامس عشر والسادس عشر مرحلة نضج نهج لغوي انطلق من فترة وصول العربية إلى الأندلس وليست من ابتكار مراحل متأخرة كما يقول بعض الباحثين مثل L . P .HARVEY الذي عدّ أن مفتي SEGOVIA عيسى بن جابر (القرن الخامس عشر) هو الباعث لهذا الأدب الأعجمي . وقد سانده في هذا الطرح باحثون آخرون أمثال MIKEL DE EPALZA .

* المخطوط العبري صورة للمعارف اليهودية الوسطوية لأحمد شحلان : إذا كان مضمون مخطوط من المخطوطات ، في علم من العلوم ، يعدّ هدفاً في حد ذاته ، بوصفه وعاءً معرفياً يقصد منه اكتساب المعارف لتدبير المجتمعات أو حفظ الأبدان ، أو لبناء الأساس المنطقي للتدبير في الخالق والمخلوق ، فإنه زيادة على ذلك ، يعبِّر عن ثقافة العصر واهتمام الإنسان وهمّ الحاكم والمحكوم ، ويكون أداة تاريخية غير مباشرة لما هم الصقع الذي ظهر فيه ، اعتقاداً سياسياً أو معتقداً إيمانياً . كما يعكس الفورة الاجتماعية أو الفكرية التي كان ذاك العصر تربتها يرفدها بما تجمع لديه من عناصر إنسانية أو تيارات فكرية أنتجها هذا المجتمع أو حملت إليه حملاً .. ومحتوى المخطوط ، في ضمه الموضوع الواحد أو المواضيع المختلفة ، رمز في حد ذاته لا يخلو من خلفية فكرية لها دلالتها . والأدوات المادية عينها التي كونت هذا المخطوط من وَرَق أورقٍ ، من مداد أو أصباغ ، تعكس مستوى حضارياً له قيمته الفنية ومقدراته الأيديولوجية . كما أن الملاحظة العابرة التي يضعها صاحب المخطوط أو أحد قرائه في الهامش أو في الورقة المدخل أو الورقة الختام ، تصبح لها قيمتها التاريخية التي تنضاف إلى القيمة المعرفية الأصلية التي احتواها المخطوط .. لقد كان لملاحظة الباحث المتأنية وتأملاته المتواضعة في المخطوط العبري الوسطوي ما أكد كل هذه الحقائق التي أشار إليها ، لذلك جاء إسهامه متواضعاً .

الهوامش

(١) بالتعاون مع مؤسسة كونراد إدناور الألمانية .

(٢) سبق لمؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء أن نظمت ندوة دولية عن «المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي - وضعية المجموعات وآفاق البحث» سنة ٨٨ - ٨٩ ، وقد طبعت بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء سنة ١٩٩٠م .

(٣) هي الكلمة الأخيرة التي تكون في أسفل الصفحة اليمنى من الكتاب ، لتدل على بدء الصفحة التي تليها ، فربما يتوهم قارئ أن ذلك تكرار مع مبدأ الصفحة الموالية ، غير أن الواقع خلاف هذا ، وإنما هو نظام يتبعه الناسخون لضبط أوراق المخطوطة ، خشية أن تزيح عن مواضعها ، وتسمى هذه الكلمة عند المشارقة: (التعقيبة) أو (التعقيب) ، وفي المغرب تعرف باسم (الاستخراج) أو (الوصلة) ، وفي الأندلس تعرف باسم (الرقّاص) . انظر : المصادر العربية لتاريخ المغرب (الفترة المعاصرة ١٧٩٠ - ١٩٣٠) - محمد المنوني ٢ / ٣٥٣ سلسلة الدراسات الببليوجرافية رقم (١) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط ١٤١٠ - ١٩٨٩ .